روايات
مصرية للجيب

ملف المستقبل
سرى جداً !!

د. نبيل فارو

146

البقعة المظلمة

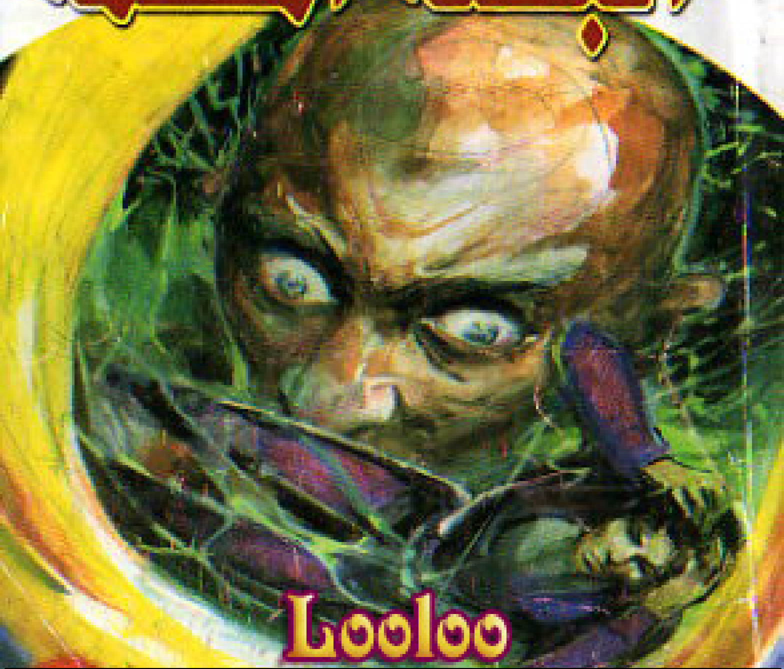

Looloo

www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدُّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ قلب الظلام ..

انتقلت إشارة اتصال رقمية قوية ، بين سلسلة الأقمار الصناعية الإعلامية ، المحيطة بكوكب الأرض ، لتربط شبكة الإعلام الدولية بعضها ببعض ، فى نفس الوقت الذى التف فيه سكان الكوكب كله تقريبًا ، حول أجهزة التليفزيون المجسمة ، التى حملت كلها إشارة واضحة ، استعدادًا لبث خبر جديد بالغ الأهمية والخطورة ، من خلال بث عالمى مباشر ..

وفى قلوب وعقول مليارات المشاهدين فى كافة أنحاء الأرض ، تولدت تساؤلات قلقة مذعورة ، حول ذلك الخبر المنتظر الذى حظى بكل هذا الاهتمام العالمى البالغ ، وربما لأول مرة ، فى العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين ..

والعجيب أن الغالبية العظمى من الأذهان قد اتجهت إلى فكرة واحدة مخيفة ..

الاحتلال ..

فعلى الرغم من أن الأرض تنعم بأزهى عصور حريتها ، لم تكن ذكرى الاحتلال القديم قد فارقت الأذهان ، والعقول ، والقلوب بعد(*) ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وكان الكل يرتجف ، من مجرد احتمال تكرار هذا ..

على أى نحو كان ..

لذا فقد ظلت العقول خائفة ، وجلة ، ترتجف ، وتنتظر ..

وتنتظر ..

وتنتظر ..

ثم فجأة ، ظهر وجه إعلامى شهير ، على كل الشاشات ، فى كافة أنحاء العالم ، وتولت أجهزة الترجمة الإليكترونية الفورية نقل كلماته ، بكل لغات الدنيا ، فى آن واحد ، وهو يقول :

- أخبار خطيرة للغاية ، من (مصر) أيها السادة .

الجملة الأولى وحدها ، أسقطت القلوب بين الأقدام ، فى حين تابع هو ، بلهجة تشف عن مدى خطورة الموقف :

- فى تطور لا مثيل له ، قامت ثلاث من مقاتلات القوات الجوية المصرية ، بالهجوم على مبنى المخابرات العلمية ، فى (القاهرة) الجديدة ، وقصفته بالصواريخ الموجهة بالليزر ، فى أعنف هجوم تشاهده مدينة معاصرة ، منذ رحيل غزاة الفضاء .

تصاعد رعب المشاهدين إلى أقصى حد ، والرجل يواصل فى توتر :

- حدث هذا عقب هجوم غير مفهوم ، على أحد أرقى أحياء العاصمة المصرية ، بوساطة فرق من قوات الصاعقة ، التى اشتبكت فيما بينها ، وقامت بتدمير مساحة واسعة ، جعلت المعلقين يميلون إلى حدوث انقلاب عسكرى مفاجئ ، لولا أن المقاتلات الثلاث قد عادت إلى قواعدها ، فور هجومها الساحق على المخابرات العلمية المصرية ، ومركز الأبحاث التابع لها ، وقام قادتها بتسليم أنفسهم إلى القيادة ، معلنين أنهم لم يقصدوا ما فعلوه أبدًا ، وطالبوا بمحاكمتهم عسكريًا ، على نحو أثار ألف علامة استفهام ، حول ما حدث فى قلب العاصمة المصرية ، التى لم يصدر عنها بيان رسمى - حتى هذه اللحظة - على الرغم من أن كل رموز الحكم مازالت فى مراكزها ، وتحظى بالتأييد الشعبى والسياسى ، والعسكرى أيضًا .

نقلت كلماته حيرة بلا حدود ، إلى قلوب وعقول المشاهدين ، فى كافة أنحاء الأرض ، وضاعفت من قلقهم وخوفهم المبهم ، فى حين اعتدل هو ، فى وقفة ثابتة ، وقال فى قوة ، لم تخل من ذلك التوتر ، الذى يملأ كل ذرة فى كيانه :

ـ السؤال الآن هو : ما الذى يحدث هناك ، فى (القاهرة) الجديدة ؟! وما تفسير ذلك العنف المخيف ؟! هذه أسئلتنا ، ولكن الأجوبة لم تتوافر لنا هنا ، وإن كنا واثقين من أنها معروفة هناك .. فى (مصر) .

انطلقت زفرة قوية ، من صدر رئيس الجمهورية المصرى ، عندما بلغ الرجل هذه النهاية ، وأشار إلى وزير الدفاع ، قائلاً فى توتر :

ـ الكل يتصوَّر أن لدينا أجوبة لما يحدث ؟!

هزَّ وزير الدفاع رأسه ، قائلاً :

ـ لا أحد يمكن أن يتخيَّل أننا نسعى للحصول عليها ، بكل ما فى طاقتنا ، وخاصة مع هذه التطورات الرهيبة ، التى لو تواصلت ، على النحو نفسه ، لأصبحنا مضطرين للاستسلام رسمياً .

زفر الرئيس مرة أخرى ، ونهض من خلف مكتبه ، ولوَّح بيده ، وهو يقول :

ـ مازلت أعجز عن تصديق أن خصمنا مجرَّد رجل واحد ، يقولون إن باستطاعتنا تحديد موقعه ، ولكننا لانستطيع حتى الوصول إليه ، بكل مالدينا من قدرات عسكرية وتكنولوجية ،

فما بالك بالانتصار عليه .. رباه ! هذا يبدو أشبه بالكابوس !

تمتم وزير الدفاع :

ـ بل الكابوس ينتهى باستيقاظ المرء ، وخروجه منه ياسيادة الرئيس ، أما ما نواجهه ، فهو كارثة .. كارثة حقيقية .

أشار الرئيس بيده ، وهو يسير فى مكتبه ، قائلاً :

ـ دعنا نراجع الموقف كله ، منذ بدأت هذه الأحداث الرهيبة ، عندما تلقَّى رجل الأعمال (شريف صابر) ذلك التهديد ، الذى انتهى به إلى الانتحار ، أمام عدسات المصورين ، وعيون رجال الشرطة والإعلام .

غمغم وزير الدفاع :

ـ كانت هذه مجرَّد بداية .

وافقه الرئيس بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ نعم .. وبعدها كشفنا أننا أمام خصم رهيب ، يمتلك عقلاً جباراً ، قادراً على السيطرة على كل شىء .. وأى شىء .. عقل أمكنه أن يهزم أقوى فريق علمى لدينا .. فريق المقدَّم (نور الدين) .

أشار وزير الدفاع بسبابته ، قائلاً فى حزم :

– لانستطيع أن نقول : إنه قد هزمهم بعد ياسيادة الرئيس ؛ فقد قاوموه باستماتة ، ووجدوا أكثر من سبيل لمواجهته .. بل وكادوا ينتصرون عليه أيضًا ، بمساعدة ذلك الراهب التبتى النحيل ، الذى انضمّ إليهم ، وقلب الأحداث كلها رأسًا على عقب .

هزّ الرئيس رأسه ، قائلاً :

– ثم ماذا ؟! صحيح أنه أنقذهم من موت محقق ، عندما دفع ذلك العقل الشيطانى أحد خبراء المتفجرات لدينا ، لينسف مبنى إدارة الأبحاث العلمية ، على الرغم من استحالة هذا عمليًا وعلميًا ، إلا أنه وهم تحت الأنقاض الآن ، بعد ذلك الهجوم الرهيب ، الذى دفع خصمنا مقاتلاته لشنّه ، بمنتهى القسوة والعنف ، على مبنى المخابرات العلمية ، وما تبقّى من مبنى إدارة الأبحاث(*) ..

جاء دور وزير الدفاع ، ليطلق زفرة ملتهبة ، من أعماق أعماق صدره ، قبل أن يقول فى أسى :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى : (بلا جسد) ، (العقل) ، و (الخصم الرهيب) المغامرات أرقام (١٤٣) ، (١٤٤) ، (١٤٥) .

– هذا صحيح .. للأسف .

وأطلق زفرة أخرى ، قبل أن يتابع فى مرارة :

– ذلك الهجوم الأخير كان أعنف مما توقّعنا ، وأسرع من كل تصوراتنا ، حتى إن أحدًا لم يجد الوقت الكافى ، لاتخاذ الخطوات اللازمة ، قبل أن ينهدم المكان ، فوق رءوس الجميع .

سأله الرئيس ، فى مزيج من القلق والاهتمام :

– أليس من المفترض أن الطابق تحت الأرض ، الذى يضم مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، محصّن ضد أى هجوم عنيف .

وافقه وزير الدفاع بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

– طابق القيادة محصن ضد هجوم بالقنابل النووية ، وهذا يرجّح بقاء القائد الأعلى ، وطاقم القيادة الرئيسى على قيد الحياة ، إلا أن الاتصالات كلها قد انقطعت تمامًا بالمبنى الأساسى ، وكل المبانى المحيطة به ، ورجال الإنقاذ يشقون طريقهم الآن إلى داخله ، فى محاولة لإنقاذ كل من يمكن إنقاذه .

هزّ الرئيس رأسه فى توتر ، مغمغمًا :

– من الواضح أن الأمر بالغ الخطورة ، حتى إننى أتساءل : تُرى ما الخطوة التالية .

سأله وزير الدفاع فى حذر :

- من جانبنا ، أم من جانبه ؟!

بدا الأسف على وجه الرئيس ، وفى نبرات صوته ، وهو يقول :

- من جانبه بالطبع ، فلم يعد مانفعله سوى ردود أفعال ، لما يواجهنا هو به .

لم يكد الرئيس يتم عبارته ، حتى اهتزت صورة الإعلامى الشهير ، على كل شاشات البث ، فى كافة أنحاء العالم ، ثم امتزجت بصورة أخرى ، لوجه غارق فى ظلام رهيب ، على نحو ارتجفت له قلوب المشاهدين ، فى أركان الدنيا الأربعة ، فى حين اتسعت عينا وزير الدفاع المصرى ، وهو يهتف :

- رباه ! ما هذا بالضبط ؟!

أدار رئيس الجمهورية عينيه فى سرعة ، إلى حيث ينظر الوزير ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة وتوتر ، مع ذلك الصوت العميق الرهيب ، الذى انبعث من الشاشة المجسمة ، والذى ترجمته الآلات الإليكترونية الفورية ، إلى كل لغات العالم ، وهو يقول :

- ما حدث فى (مصر) مجرد مثال بسيط .

هتف وزير الدفاع ، فى انفعال جارف :

- إنه هو !!

استوقفه الرئيس بإشارة صارمة حازمة من يده ، وهو يستمع إلى ذلك الصوت شبه الآلى ، وهو يتابع فى لهجة مخيفة ، يبث رعبًا مبهمًا رهيبًا ، فى قلوب الجميع :

- مثال لما يمكننى أن أفعله بكم ، فى كل مكان من العالم .

خيِّل للكل أن صورته تتحرك على الشاشات المسطَّحة والمجسَّمة ، على نحو عجيب ، فى حين تدور الخلفية المظلمة لها ، كما لو أنها دوّامة مهيبة ، وهو يتابع فى عمق مخيف :

- يمكننى أن أحيل حياتكم إلى جحيم .. جحيم متصل ، لاينتهى ولاينقطع أبدًا .. جحيم لاسبيل لتفاديه ، أو الخروج منه ، سوى إجراء واحد .

وتضاعف دوران الدوّامة المظلمة ، على نحو رهيب ، وهو يضيف :

- الاستسلام .. الاستسلام التام ، دون قيد أو شرط .

ومع آخر حروف كلماته ، التى حملت قدرًا رهيبًا من الشراسة ،

والوحشية ، والمقت بلا حدود ، دوت فرقعة مكتومة ، رددتها شاشات البث ، فى كل أنحاء العالم ، على نحو جعلها أشبه بفرقعة فضائية مخيفة ..

ثم تلاشت الصورة دفعة واحدة ..

وعاد وجه الإعلامى الشهير يحتل الشاشات ، وينتقل عبر شبكة الاتصالات الإعلامية الدولية ..

ولكن بعد أن أفصح الخصم الرهيب عن هدفه الرئيسى ..

السيطرة على العالم كله ..

بلا حدود ..

* * *

« أين نحن بالضبط ؟! » ..

نطقت (سلوى) العبارة ، بكلمات مرتجفة مذعورة ، وهى تتلفت حولها فى فزع ، محاولة اختراق ذلك الظلام الدامس الرهيب ، المحيط بها وبرفاقها ، من كل جانب ..

كان الكل مجتمعًا ، داخل ما يشبه فقاعة من الضوء الخافت ، تسبح وسط بحر من ظلام دامس ، لا تخترقه لمحة واحدة من الضوء ، على نحو يستحيل حدوثه ، وفقًا لكل المقاييس والمعايير العلمية المعروفة ..

والكل كان يجمعهم ذهول مهيب ، مع ما يشعرون به ، داخل ذلك المكان ، الذى يجهلون هويته تمامًا ..

(مشيرة) احتضنت زوجها (أكرم) ، بكل رعب الدنيا ، وجسدها يرتجف كطائر مبتل ، فى ليلة قارسة البرودة ..

و(نشوى) التصقت بزوجها (رمزى) ، الذى تلفّت حوله فى عصبية ، وألف ألف سؤال يعربد فى رأسه ..

أما (نور) ، فقد ضمّ زوجته (سلوى) إليه ، وكأنما يحاول حمايتها من خطر مجهول مبهم ، فى حين هتف الدكتور (جلال) ، فى ارتياع جارف :

ـ هل .. هل تعتقدون أنها النهاية ؟!

سألته (مشيرة) مرتجفة :

ـ ما الذى تعنيه بكلمة النهاية ؟!

أجابها فى عصبية :

ـ وما الذى يمكن أن أعنيه ؟! لقد كنا داخل أطلال مركز الأبحاث ، عندما انطلقت تلك الصواريخ نحونا ، وسمعنا كلنا الانفجارات الرهيبة ، وارتجت أجسادنا معها بمنتهى العنف ، ثم وجدنا أنفسنا هنا ! أعتقد أن الأمر أوضح من أن نناقشه .

امتقع وجه (مشيرة) ، وهى تهتف فى ارتياع :

- رباه ! هل تعنى أننا قد متنا ...

قاطعها (أكرم) فجأة ، فى حزم صارم :

- كلا .

ثم شد قامته ، وكأنما يحاول أن يستمد بعض القوة ، وهو يضيف :

- إننا لم نمت .

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، وغمغم (رمزى) فى توتر :

- لا أحد يعرف ما هو الموت ، ولا ما ...

قاطعه (أكرم) ، فى شىء من العصبية :

- ولكننى أعرف أين نحن بالضبط .

اتسعت عيونهم جميعًا ، وهم يحدقون فيه ، بكل دهشة الدنيا ، فأضاف ، وقد تضاعفت عصبيته :

- لقد كنت هنا من قبل .

انفجرت العبارة كألف قنبلة ، وسط ذلك الفراغ الرهيب ، فاتسعت العيون أكثر وأكثر ، فى حين قال (نور) فى توتر :

- (أكرم) .. أتعنى أننا الآن فى ...

قاطعه صوت بعيد مألوف ، يقول :

- نعم يا (نور) .. أنتم داخل الفراغ الزمنى المتعادل (*) ..

استدار الجميع إلى ذلك الظلام الدامس ، خارج فقاعة الضوء الخافت ، حيث انبعث الصوت ، وهتفت (سلوى) :

- رباه ! أهذا معقول ؟!

برز جسد مألوف فجأة ، من قلب الظلام الدامس ، وارتسمت على وجه صاحبه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

- نعم يا (سلوى) .. هو أنا .

ثم تهللت أساريره ، مع استطرادته :

- يا إلهى ! كم اشتقت إليكم يا رفاق .

تراجع الدكتور (جلال) بحركة حادة ، وانعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، فى نفس الوقت الذى اتسعت فيه عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهتف (نور) و(سلوى) و(نشوى) فى آن واحد :

- (محمود) !!

(*) راجع قصة (الثعابين) .. المغامرة رقم (١٤١) .

أما (أكرم) ، فقال فى شىء من التوتر :

- مرحبًا يا (محمود) .. ها نحن أولاء نلتقى مرة ثانية ، خلال فترة زمنية قليلة .

كانت (سلوى) تندفع نحو (محمود) ؛ لتصافحه فى حرارة ، إلا أنه هتف بها فى ذعر شديد :

- لا .. لاتتجاوزى هذه القاعة .

تراجعت فى توتر ، هاتفة :

- لماذا ؟!

وتساءل (نور) فى حذر :

- (محمود) .. أأنت هنا حقًا ؟! أمن الممكن أن نلتقى ثانية ، بعد ما فقدناك فى نهر الزمن ؟! (*) ..

قال (محمود) ، بصوت تهدّج انفعالاً :

- لايمكنك أن تتصوّر كم ظللت أتمنى هذا يا (نور) .

اندفعت (نشوى) ، تسأله فى لهفة :

- قل لى يا (محمود) : كيف أتينا إلى هنا ؟!

(*) راجع قصة (الزمن - صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

أجابها فى سرعة :

- إنه ذلك الراهب التبتى .

هتف الدكتور (جلال) ذاهلاً :

- هو فعل هذا ؟!

أجابه (محمود) :

- لم يكن أمامه سوى هذا .. ولم يكن باستطاعته حتى أن يفعله وحده .. لقد اشترك بعقله ، بكل ما يمتلك من قوة ، مع عقول زملائه المجتمعين هناك ، فى معبدهم العتيق فى التبت ، حتى يرسلوكم جميعًا ، عبر حاجز الزمان والمكان ، إلى حيث لا يطيح بكم الانفجار .

كرّر الدكتور (جلال) ، فى ذهول أكبر :

- هو فعل هذا ؟!

هزّ (محمود) رأسه ، قائلاً فى أسى :

- صدقونى يا رفاق .. لم يكن هذا هيّنًا أبدًا .. لقد استنفد ما فعلوه كل طاقاتهم العقلية ، حتى إن ذلك الفريق من الرهبان ، فى معبد (التبت) العريق ، قد سقطوا جميعًا فاقدى الوعى ، فور وصولكم إلى هنا .

رددت (سلوى) مبهوتة :

- جميعهم ؟!

زفر (محمود) ، وهو يقول :

- كان هذا يفوق كل قدراتهم ، فلو أنهم يتعاملون مع شخص واحد ، لأمكنهم نقله ، بقوتهم العقلية المجتمعة ، إلى أى مكان يشاءون ، أما مع عددكم هذا ، فكل ما أمكنهم فعله ، هو نقلكم إلى فراغ زمنى متعادل ، خارج حدود العالم المادى ، الذى يمكن للقنابل أن تفتك بكم فيه ، وستعودون جميعكم إلى عالمكم التقليدى ، فى أية لحظة الآن ، دون أن تفقدوا ثانية واحدة من أعماركم ، أو...

قاطعه (نور) ، فى توتر شديد :

- وماذا عنه ؟!

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، فأضاف فى قلق واضح :

- ماذا عن ذلك الراهب التبتى ؟! أين هو ؟! لماذا لم ينتقل معنا ، إلى هذا الفراغ الزمنى المتعادل ؟!

انخفض صوت (محمود) ، وهو يجيب ، فى أسى بالغ :

- كان من المستحيل أن ينقلكم إلى هنا ، دون أن يبذلَ نفسه ، فى سبيل هذا .

شهقت (مشيرة) ، وهى تهتف فى ارتياع :

- هل تعنى أنه ...

قاطعها (محمود) ، وقد اكتسى صوته فجأة بالتوتر :

- لاوقت للحزن يا (مشيرة) .. لاوقت لأى شىء .. إنكم هنا لفترة محدودة جدًا ، ولابد أن نستغل كل لمحة منها ، لأخبركم بوسيلة التغلُّب على خصمكم الرهيب هذا .

سأله (نور) ، بكل اللهفة والاهتمام :

- كيف يا (محمود) ؟! كيف ؟!

التقط (محمود) نفسًا عميقًا ، وهو يقول فى انفعال :

- العقل لايهزمه إلا العقل يا (نور) ، وعقولكم قادرة على هزيمة ذلك العقل الشيطانى الجبار ، ولكن ليس على هذا النحو المنفرد .

سألته (نشوى) ، بمنتهى الاهتمام :

- هل تعنى أنه لابد أن نجتمع جميعًا يا (محمود) ؟!

أشار بيده ، قائلاً بنفس الانفعال :

- نعم يا (نشوى) .. لابد أن تتآزر عقولكم كلها فى مواجهته .. أنتم وأولئك الـ ...

قاطعته شهقة مباغتة من (سلوى) ، قبل أن تهتف :

ـ رباه ! ما هذا بالضبط ؟!

التفت الكل إلى حيث تنظر (سلوى) ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين وثبت يد (أكرم) إلى حزامه ، وكأنما يحاول انتزاع مسدسٍ وهمىٍّ منه ، عندما وقع بصر الكل على فقاعة أخرى ، بدت بصعوبة ، وسط الظلام الدامس ، وهى تتدحرج بسرعة مخيفة ، نحو (محمود) مباشرة ..

ولسبب ما ، بدا للجميع أنها تستهدفه لغرض ما ..

غرض شرير جداً ..

الانفعال الذى ارتسم على وجه (محمود) ، والذى حمل مزيجاً من الدهشة ، والذعر ، والانزعاج ، والهلع ، أيد تماماً هذا الشعور ، مما جعل (نشوى) تصرخ :

ـ احترس يا (محمود) .. احترس .

ولكن تلك الفقاعة المظلمة ، كانت تندفع نحوه بسرعة رهيبة ، حتى إنها ارتطمت به ، قبل حتى أن تكتمل صرخة (نشوى) ..

ثم ابتلعته دفعة واحدة ..

ومع ابتلاعها له ، دوت فرقعة قوية ، فى الفراغ الزمنى المحدود ..

ومع الفرقعة ، شعر الكل بصدمة قوية ، ارتجّت لها كل ذرة من أجسادهم ، قبل أن يتلاشى ذلك الضوء الخافت المحيط بهم ، ليطبق عليهم الظلام الدامس من كل صوب ..

فجأة .

* * *

٢ ـ الكارثة ..

سعل القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فى توتر بالغ ، ورجال فريق الإنقاذ يعاونونه على مغادرة مكمنه ، فى أعماق المبنى ، الذى دمرته صواريخ المقاتلات المصرية الثلاث ، وهتف متسائلاً ، فى صوت متوتر مبحوح :

ـ كيف حال الباقين ؟! ما نسبة الخسائر حتى الآن ؟!

أجابه قائد فريق الإنقاذ ، فى مرارة واضحة :

ـ الخسائر رهيبة ياسيدى .. الرجال انتشلوا عشرات الجثث ، قبل أن يصلوا إلى هذا المكمن الحصين ، أسفل المبنى .. كل شىء تم تدميره بمنتهى العنف .. كل المبانى والمنشآت ، وكل قاعات التدريب .. كل شىء .

هتف القائد الأعلى :

ـ وماذا عن الأفراد ؟!

هز قائد فريق الإنقاذ رأسه ، مجيبًا فى أسى :

ـ الأحياء يمثلون ندرة ، بين من عثرنا عليهم ياسيدى ، وحتى هؤلاء ، تحول إصاباتهم بينهم وبين ممارسة حياتهم العادية ، وربما لفترة طويلة من الزمن ... صدقنى ياسيدى .. إنها كارثة .. كارثة بكل المقاييس .

استنفر القائد الأعلى كل إرادته ، ليسيطر على انفعاله الجارف ، الذى يكاد يلتهم أعماقه التهامًا ، وهو يقول :

ـ أيشمل هذا (نور) ورفاقه ؟! إنهم أفضل فريق مخابرات علمى ، ليس هنا فحسب ، ولكن فى العالم أجمع ، وفقدانهم يعتبر كارثة حقيقية .. كارثة بلا حدود .

عاد قائد فريق الإنقاذ يهز رأسه ، قائلاً :

ـ الواقع أننا لم نعثر بعد على أى أثر لهم .. سواء أحياء أو موتى .

قال القائد الأعلى فى سرعة :

ـ رباه ! هناك أمل إذن .

حدق فيه قائد فريق الإنقاذ ، قائلاً بمنتهى الدهشة :

ـ أمل ؟! أى أمل ؟! قلت لك : إن كل شىء انسحق تمامًا ، ولايمكن أن يصمد مخلوق واحد ، مع كل هذا الدمار ، وتحت كل هذه الأنقاض .

شدّ القائد الأعلى قامته ، وسعل مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ لو أن الأمر يتعلق بأفراد عاديين ، لكان قولك هذا صحيحًا ، أما مع (نور) وفريقه ، فالأمر حتمًا يختلف .

أجابه قائد فريق الإنقاذ فى عصبية :

ـ الكل يتساوى أمام الموت يا سيّدى .

أجابه القائد الأعلى فى سرعة :

ـ بكل تأكيد .

ثم أشار بسبابته ، مستدركًا فى حزم :

ـ ولكن ليس أمام الحياة .

لم يفهم قائد فريق الإنقاذ ما يعنيه القائد الأعلى بالضبط ، لذا فقد حدّق فى وجهه بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، وكأنما ينفض الأمر كله عن ذهنه ، قائلاً :

ـ فليكن .. إنها مسألة وقت ، قبل أن نجد كل الأجوبة اللازمة ، أما الآن ، فلدى أوامر ، من رياسة الجمهورية ، لابد من إبلاغها لسيادتكم ، فور خروجك من مكمنك .

سأله القائد الأعلى ، فى شىء من الحذر :

ـ أية أوامر ؟!

مال الرجل نحوه ، مجيبًا فى حزم :

ـ أن تذهب لمقابلة السيّد الرئيس ، مباشرة .

لم تمض على عبارته هذه دقائق عشر ، حتى كان القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ينضمّ إلى رئيس الجمهورية ، ووزير الدفاع ، فى اجتماع مغلق خاص ، بدأه الرئيس بقوله :

ـ أظن أن ما حدث يعنى فشل جهازك ، فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، أيها القائد الأعلى .

شدّ القائد الأعلى قامته ، قائلاً :

ـ ليس بعد يا سيادة الرئيس .

انعقد حاجبا الرئيس فى شدة ، وهو يتطلّع إليه فى تساؤل حائر ، فى حين قال وزير الدفاع ، فى خشونة متوترة :

ـ ليس بعد ؟! أى قول هذا يا رجل .. الكل يعلم أن إدارة المخابرات العلمية قد أزيلت فعليًا من الوجود .

هتف القائد الأعلى فى صرامة :

ـ محال .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يواصل بمنتهى الحزم :

ـ لو أن هجومًا واحدًا ، مهما بلغت قوته ، ومهما هدم من مبان ومنشآت ، يكفى لمحو المخابرات العلمية من الوجود ، فهذا يعنى أنها لم تستحق أبدًا أن توجد .. المخابرات العلمية أقوى من هذا .. أقوى بكثير .. ومنذ ذلك الاحتلال البغيض ، الذى سيطر على كوكبنا كله ، فى حقبة مظلمة من تاريخنا ، وضعنا خطة محكمة ، تضمن عدم تكرار هذا قط ، وصنعنا أكثر من موقع احتياطى ، يمكننا أن ننطلق منه ، لنعيد بناء كل شىء ، فى أسرع وقت ممكن ، إذا ما اقتضت الأمور هذا .

سأله وزير الدفاع فى صرامة :

ـ وماذا عن الأفراد ؟! لقد خسرت أقوى فرقك .. أليس كذلك ؟!

شد القائد الأعلى قامته أكثر ، وقال :

ـ هذا لم يتأكد بعد .

هتف به الوزير فى حدة :

ـ وهل سننتظر حتى ...

قاطعه رئيس الجمهورية فى صرامة حازمة :

ـ كفى .

ثم أشار إليهما بالجلوس ، متابعًا فى قوة :

ـ نحن هنا للبحث عن مخرج ما من هذه الأزمة ، التى تبدو وكأنه لا مخرج منها ، ولسنا نجتمع للبحث عن وسائل التفوق بعضنا على البعض ، أو إلقاء المسئولية على الآخرين .

وضرب سطح المائدة براحته ، مضيفًا :

ـ إننا أمام لوحة شطرنج أيها السادة .. لوحة لا تمنح الفوز للأكثر سطوة ، أو للأفضل عقيدة ، أو حتى للأحسن نوايا ، بل تمنحه لمن يتبع قواعدها ببراعة فقط .. هل تستوعبون هذا المبدأ ؟!

أجاب الاثنان ، فى آن واحد :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .

تراجع الرئيس فى مقعده ، قائلاً فى حزم :

ـ نحن الآن أمام تهديد واضح مباشر ، من خصم جبار ، لم نجد وسيلة واحدة لهزيمته بعد ، وإما أن نجد تلك الوسيلة ، التى مازلنا نجهل ماهيتها ، أو نضطر لتنفيذ مطالبه ، وهنا تصبح كارثة حقيقية .. كارثة لن ننهض منها أبدًا .

قال القائد الأعلى :

ـ أعتقد أن فكرة الاستسلام لوغد مثله ، غير واردة على الإطلاق ، يا سيادة الرئيس .

تنهد الرئيس ، قائلاً :

- ربما ليس هنا .. وربما ليس حول هذه المائدة فحسب ، ولكن هناك دول أخرى ترتجف هلعًا الآن ، بعدما رأت ما فعله بنا هذا الـ... هذا الشىء ، ولو طالت مقاومتنا له ، دون أن نظفر بنتائج واضحة ، ستنهار تلك الدول ، وتستسلم لإرادته ، وعندئذ سيصبح استسلام الباقين مسألة وقت فحسب .

غمغم القائد الأعلى فى توتر بالغ :

- إننى أفضل الموت على الاستسلام .

قال الوزير فى صرامة :

- كلنا هذا الرجل ، ولكننا نحتاج إلى طرف خيط ، يمكن أن يقودنا إليه .. مجردُ طرف خيط ..

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- وماذا عن موقعه ؟! ألم يتم رصده ، فى تلك المنطقة الريفية ، التى شنَّ أحد قادتكم هجومه العشوائى عليها ، وتسبَّب فى كل ما حدث ؟!

احتقن وجه الوزير ، وهو يهزّ رأسه ، قائلاً :

- هذا ما تصورناه جميعًا ، ولكن بعض رجالنا نجحوا فى الوصول إلى المكان ، فلم يجدوا أمامهم سوى منزلٍ قديم مهجور ، خالٍ تمامًا ، من أى نوع من الحياة .

سأله القائد الأعلى :

- هل فحصوه جيدًا ؟!

أومأ الوزير برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

- فحصوه بمنتهى الدقة ، واستخدموا ثلاث كشافات ميدان قوية ؛ لإضاءة ظلامه الدامس ، ولكنهم لم يجدوا شيئًا .. أى شىء .

سأله القائد الأعلى فى سرعة :

- أى شىء ؟!

كرَّر الوزير ، فى حزم صارم :

- نعم .. أى شىء .

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يفكِّر فى عمق ، فسأله الرئيس فى اهتمام :

- ألا ينبغى أن تشاركنا أفكارك ؟!

قال الوزير فى حدة :

- ربما يفضِّل الاحتفاظ بها لنفسه .

رفع القائد الأعلى عينيه إليه ، قائلاً فى صرامة :

- وأى فارق يمكن أن يصنعه هذا فى رأيك ؟! أنسيت أن

خصمنا رجل يخترق العقول .. كل العقول ؟! إنه قادر على معرفة ما تخفيه ، عبر الغوص فى أعمق أعماق تلك الخلايا الرمادية فى مخك ، والأفضل فى هذه الحالة أن يفصح كل منا عن أفكاره للآخر ، قبل أن ينتزعها هو ، أو يدمّر أمخاخنا وأجسادنا ، ويحذفنا من قائمة خصومه .

أشار رئيس الجمهورية بسبّابته ، قائلاً فى حزم واهتمام :

ـ ولماذا لم يفعل هذا ؟!

التفت الرجلان إليه ، فتابع فى انفعال :

ـ لماذا لم يحاول السيطرة على عقولنا ، باعتبارنا القيادات الرئيسية لهذه الدولة ، أو حتى السيطرة على عقول قادة الدول الأخرى ؟! هذا وحده كان كفيلاً بمنحه السيطرة الكاملة ؛ التى يسعى إليها ، دون الدخول فى معارك عنيفة كهذه !!

تنهّد القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ الدكتور (رمزى) ، عضو فريق (نور) ، والخبير النفسى الشهير ، قدّم تقريراً فى هذا الشأن يا سيادة الرئيس .

سأله الرئيس فى اهتمام بالغ :

ـ وماذا قال فى تقريره هذا ؟!

أجاب القائد الأعلى فى سرعة :

ـ الدكتور (رمزى) قال : إن هذا لا يحقّق أهدافه ، فلو سيطر على عقول القادة ، ودفعهم إلى القيام بما يرغب ، سيبدو هذا وكأنه جنون قيادة ، أو نزعة عدوانية لدى بعض القادة ، أو سيؤدى إلى شن حروب قومية أو دولية ، على أقصى تقدير ، ولكنه لن يمنحه ما يسعى إليه فعلياً ، وهو السطوة والقوة والسيطرة ، لذا فقد ركز جهوده كلها على تحطيم المخابرات العلمية المصرية ، وسحق أقوى وأشهر فريق فيها ، وبالذات ذلك الفريق ، الذى يربط العالم كله بينه ، وبين هزيمة الغزاة ، الذين نجحوا فى احتلال الأرض كلها يوماً ، بحيث يرى العالم كله ، أو يدرك ضمنياً ، أنه وحده أكثر قوة ، من قوات كوكب كامل ، وأنه محق بعقله وحده ، من قاموا احتلالاً فضائياً كاملاً ، وهذا وحده يمنحه كل ما يحتاج إليه نفسياً ومعنوياً .

تساءل الرئيس فى اهتمام :

ـ أتعنى أنه يفعل كل ما يفعله ؛ ليداوى مشكلة نفسية فى أعماقه ؟!

أشار القائد الأعلى بسبّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

كان يهم بالاستطراد ، عندما ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص به فجأة ، فالتقطه فى سرعة ، وقال عبره فى لهفة :

- هنا القائد الأعلى .. هل من جديد ؟!

امتقع وجهه بشدة ، وهو يستمع إلى محدثه ، فالتقى حاجبا رئيس الجمهورية ، فى توتر ، فى حين تساءل وزير الدفاع فى عصبية :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

رفع القائد الأعلى إليه عينين زائغتين ، وهو يقول :

- لقد عثروا عليهم .

وقبل أن يسأله أحدهما ، عن سر امتقاع وجهه الشديد ، أضاف بكل مرارة الدنيا :

- على جثثهم .

واتسعت العيون فى ذهول مذعور ..

فقد كانت المفاجأة رهيبة ..

رهيبة بحق ..

وبكل معنى الكلمة ..

* * *

فجأة ، استعاد فريق الرهبان ، فى ذلك المعبد التبتى القديم ، وعيهم ...

فجأة ، اعتدلت رءوسهم ، وانتصبت أعناقهم ، واستعادت عقولهم صفاءها ، ونشاطها ..

وقوتها ..

كان من الواضح أن العقول كلها قد تلقت رسالة قوية ..

وربما أقوى من المتصوَّر ..

لذا ، فقد عادت الدائرة العقلية تكتمل ..

وتنطلق ..

وعلى الرغم من حاجزى الزمان والمكان ، أدرك الكل ، فى لحظة واحدة ، أن الزميل ، الذى تم نقله زمكانيًا ، إلى قلب (القاهرة) الجديدة ، لم يعد هناك ..

لم يعد فى عالمنا كله ..

ولكن هذا لم يوقفهم لحظة واحدة ..

ولم يفت فى عضدهم ..

أو قلوبهم ..

أو عقولهم ..

فالثقافة التى نشئوا عليها ، وقضوا فيها عمرهم كله ، لم تكن

قابلة للانحناء ، أمام الأحزان والهموم ، أو الاهتمام بمتاعب وانفعالات الدنيا ، وإنما تقتصر على تطوير الروح والعقل ، من دون الجسد ..

لذا ، فقد تجاوزوا الموقف على الفور ، وراحت عقولهم تستوعب الخطر الجديد ، الذي يواجهه العالم أجمع ، والذي اعتبروا أنفسهم المسئولين الأساسيين عنه ..

ولأنهم قد ضبطوا عقولهم على موجة ذلك العقل الشيطاني الجبار ، فقد أدركوا على الفور ، أنه قد انطلق ، بكل طاقته ، إلى آفاق جديدة تماماً ..

آفاق خلف حاجز الزمان والمكان ..

انطلق إلى حيث أرسلوا (نور) ورفاقه ..

إلى الفراغ الزمني المتعادل ..

وإنه لن يتراجع هذه المرة ، قبل أن يحقق الانتصار ، الذي ظلّ يحلم به ، لعقدين كاملين من الزمان ..

الانتصار الساحق ..

ولأنه أدرك أن الخطر الحقيقي ، الذي يواجه وجوده ، يكمن في (محمود) ، عضو فريق (نور) السابق ، الذي ضاع

في نهر الزمن ، ونجح في تطوير قدراته وخبراته هناك ، حتى صار باستطاعته تجاوز حدود الزمان والمكان بدوره ..

وهذا يعني أن باستطاعته كشف مواطن ضعفه ..

وإبلاغ رفاقه بها ..

فقد قرّر أن يبدأ الجولة الجديدة من المعركة ، بسحق ذلك الخصم القوي ، خارج حدود الزمان والمكان ..

وعلى الرغم من أن هذا يحتاج إلى استنفار كل طاقاته وقوته ، فقد أطلق لعقله العنان ، وانطلق به إلى أقصى الحدود ..

أقصى حدود الزمان ..

والمكان ..

والعقل ..

وهناك ، في ذلك الفراغ الزمني المتعادل ، حيث الزمن يساوي صفراً ، وكل شيء بلا حدود ، انطلق عقله الشرير ..

انطلق في شكل فقاعة مظلمة رهيبة ، انقضت بكل الشر الشيطاني الكامن فيها ، على الخصم القوي ..

على (محمود) ..

ولأن الرهبان يدركون أن قدرات (محمود)، مهما بلغت قوتها، محدودة تمامًا، أمام القوة الشيطانية لخصمه، فقد قرّروا أن يتدخلوا لمواجهة الأمر ..

ولمؤازرة (محمود) ..

وعبر الدائرة، التي صنعتها أجسادهم، اتصلت عقولهم؛ لتصنع شبكة عقلية مدهشة، راحت تنمو ..

وتنمو ..

وتنمو ..

ثم دوت فرقعة مكتومة، فى مركز الدائرة بالضبط ..

وهنا، انطلقت طاقتهم العقلية المشتركة، عبر الزمان ..

وعبر المكان ..

وعبر عالمنا كله ..

بلا حدود ..

* * *

لأوّل مرة، منذ هوى كيانه فى نهر الزمن، شعر (محمود) بجسده بغتة، ودون مقدمات ..

شعر به يرتجف ..

وينتفض ..

ويقشعر ..

ويئن ..

ويصرخ ..

وينهار ..

وكم أذهله هذا ..

وآلمه ..

وأربكه ..

فوفقًا لخبراته السابقة، لم يعد لجسده وجود فعلى ..

الذوبان في نهر الزمن حوّل كيانه كله إلى طاقة ..

مجرّد طاقة ..

وهذا وحده يمنحه القدرة على الانطلاق بلا حدود ..

عبر الزمان ..

والمكان ..

ولكنه الآن يشعر بجسده كله ، منذ سقط أسير تلك الفقاعة المظلمة المخيفة ..

يشعر به ، كما لو أنه قد استعاده كله دفعة واحدة ..

أو كأنه يهوى به ، فى بئر عميقة مظلمة ..

بئر بلا قرار ..

وهناك قوة ما تعتصر عقله ..

وتعتصره ..

وتعتصره ..

شىء هائل يضغط خلايا مخه ، من كل جانب ، حتى لتكاد تذوب داخل جمجمته ، و...

ولكن مهلاً ..

هذا مستحيل !

مستحيل تماماً !

جسده لن يعود مرة أخرى أبداً ..

لقد فنى ، وانتثر ، وتلاشى ، منذ زمن طويل ..

لو أنه هناك قيمة للزمن ، فى مكان كهذا ..

استعادته الشعور به إذن هى مجرد خدعة ..

وهم ..

محاولة من خصمه الرهيب ؛ لإرباكه بشعور جديد ، غير منطقى ، يثير حيرته ، ويلتهم مشاعره ، ويجتذبه بعيداً عن مشكلته الرئيسية ..

محاولة للالتفاف حول طاقته ..

والهجوم على كيانه الجديد ..

كيانه اللاجسدى ..

ولو أنه استسلم للفكرة ، وانشغل فى البحث عن تفسير لما يشعر به ، سيجد خصمه الفرصة لتدميره ..

وبلا رحمة ..

لابد له إذن من أن يقاوم ..

ويقاوم ..

ويقاوم ..

و...

وفجأة ، شعر بأنه يدور فى دوامة مظلمة رهيبة ..

دوّامة تجذبه خارج حدود الوطن ، الذى اعتاد التواجد فيه ، لفترة طويلة .. طويلة جدًا ..

وتجذبه بسرعة تتزايد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم لاح له ذلك المشهد بغتة ..

حجرة مظلمة ، يجلس فى منتصفها رجل أصلع ، له جمجمة مزدوجة مخيفة ، ووجه غارق تمامًا فى الظلام ..

رجل يجلس القرفصاء ، وعيناه تلتمعان فى قلب الظلمة ..

وكانت العينان تنظران إليه مباشرة ..

وبنظرة مخيفة ..

مخيفة إلى أقصى حد ..

ولقد توقفت تلك الدوّامة عن الدوران بغتة ..

واعتدل جسد (محمود) ..

وتضاعف إحساسه به أكثر وأكثر ، عندما وجد نفسه يقف أمام ذلك الخصم الرهيب مباشرة ، وظلام عجيب يحيط

بهما من كل جانب .. ظلام لا يخفى جسديهما ، أو يحجب أحدهما عن الآخر ..

ولكنه يحيط بكل ما حولهما ..

وفى توتر بالغ ، حدّق (محمود) فى وجه خصمه ، محاولاً أن يستشف ملامحه ، التى غرقت فى ذلك الظلام الرهيب ..

ولقد لمح أمرًا واحدًا ..

تقطيبة الجبين الحادة ..

الحادة جدًّا ..

تقطيبة سميكة ، فى منتصف الجبهة مباشرة ، فى المسافة بين العينين ، على نحو لم يره قط ، فى أى كائن بشرى ..

وبكل حواسه واهتمامه وانتباهه ، تطلّع (محمود) إلى تلك التقطيبة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

أو ينبس خصمه ببنت شفة ..

لم يكن يرى عينيه ، الغارقتين فى ظلام رهيب ، ولكنه كان واثقًا من أنه يتطلّع إليه ، على نحو ما ..

أو بوسيلة ما ..

وسيلة بصرية مباشرة ..

أو وسيلة عقلية غير مباشرة ..

المهم أنه يفعلها ..

والسؤال هو لماذا ؟!

لماذا يكتفى بالتطلُّع إليه ؟!

لماذا ؟!

ما الذى يسعى إليه بالضبط ؟!

ما الذى ...

توقفت أفكاره دفعة واحدة ، عندما شعر بتلك الطاقة الرهيبة ، التى أحاطت به من كل جانب ، و...

وبكل قوته ، قاوم (محمود) ..

قاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

ولكن فجأة ، تحركت تلك التغطية السميكة ، فى جبين الخصم الرهيب ..

وانفرجت ..

وعندئذ ، انتفض كيان (محمود) بأكمله ..

انتفض مع ذلك المشهد الرهيب ، الذى بدا أمامه ..

الرهيب جداً ..

جداً .

* * *

٢ ـ ضائعون ..

« لابد وأن نفعل شيئاً .. لايمكننا أن نقف ساكنين ، و(محمود) يواجه هذا الخطر .. » ..

هتفت (سلوى) بالعبارة ، بكل توتر الدنيا ، وهى تحدق فى تلك الفقاعة المظلمة ، المحاطة بإطار رفيع متألق ، ميّزها عن الظلام الدامس المحيط بها ، وهى تتموّج على نحو عجيب ، بعد أن ابتلعت جسد (محمود) ، فغمغم (رمزى) فى عصبية :

ـ وما الذى يمكن أن نفعله ؟!

هتفت (نشوى) :

ـ أى شىء ؟!

غمغم (أكرم) فى عصبية ، وهو يتحسّس حزامه :

ـ آه لو أن مسدسى معى .

حدّقت فيه (مشيرة) بدهشة مستنكرة ، قبل أن تقول فى حدة :

وماذا كنت ستفعل به ، فى مثل هذه الظروف أيها المتحذلق ؟! هل تتصوّر أن رصاصاته هى العلاج لكل شىء ؟!

قال فى غضب :

ـ لقد أنقذتك من الموت أكثر من مرة على الأقل .

هتفت :

ـ وكم أرقت من الدماء ، فى سبيل هذا ؟!

صاح الدكتور (جلال) يستوقفهما ، فى انفعال شديد :

ـ كفى .. لن أحتمل هذه السخافات طويلاً .. ربما اعتدتم أنتم ، كفريق علمى ، التواجد فى مثل هذه المواقف العجيبة ، أما أنا فلم يحدث لى هذا من قبل قط ، وليس من السهل علىّ أن أتآلف معه ، خاصة وأنتم تتشاجرون هكذا كالأطفال .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يراقب تموّجات الفقاعة المظلمة ، فى اهتمام قلق ، فى حين قالت (مشيرة) فى حدة عصبية :

ـ أنا أيضاً لم أعتد هذه الأمور العجيبة ، وكنت أتمنى لو أن ...

قاطعها (أكرم) ، فى سخرية متوترة :

ـ لو أنك تحملين آلة التصوير .. أليس كذلك ؟!

التفتت إليه بحركة حادة ، قائلة :

ـ وهل من العار أن يشغل علمى اهتمامى طوال الوقت ؟!

صاحت بها (نشوى) فى غضب :

ـ بل من العار أن يلتهم هذا الشىء (محمود) أمامنا ، ثم تنشغلين أنت بإثبات ذلك ، على هذا النحو المستفز .

احتقن وجه (مشيرة) ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، وارتجفت على شفتيها ، وهى لاتجد ما تقوله ، فى حين غمغم (نور) ، وحاجباه مازالا منعقدين فى شدة وتوتر :

ـ نعم .. يلتهمه .. هذا هو التعبير الصحيح .

التفتت إليه (سلوى) ، متسائلة فى قلق :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أشار (نور) بيده إلى الفقاعة ، التى تواصل تموُّجاتها البطيئة ، وهو يجيب :

ـ لاحظى حركتها يا (سلوى) .. إنها تشبه تماماً حركة المعدة ، عندما تبدأ فى هضم طعامها .

هتف (رمزى) :

ـ رباه ! هذا صحيح يا (نور) .. هذه الحركة تشبه تماماً عملية الهضم .

امتقع وجه (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ هل تعلمون أنّ هذا الشىء يهضم (محمود) ؟!

لوّح الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً فى انفعال :

ـ بل دعونا نسأل أوّلاً ، ما هذا الشىء ، ولماذا ظهر فجأة هنا ، وهاجم (محمود) على هذا النحو ؟!

ضاقت عينا (نور) ، وهو يتطلّع إلى الفقاعة المظلمة المتموّجة ، ويقول فى حزم :

ـ ألا تعرفون ما هذا الشىء بالضبط ؟!

ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف فى توتر :

ـ إنه هو .

أدرك الكل ما يعنيه ، منذ اللحظة الأولى ، وعلى الرغم من هذا فقد انتفض جسد (مشيرة) فى عنف ، وهى تهتف مكرّرة :

ـ هو ؟!

شَحَبت وجوه الكل مع سؤالها ، وتعلّقت عيونهم بالفقاعة المظلمة ، وتمتمت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! أهو الذى هاجم (محمود) ؟!

أجابها (نور) فى مرارة :

ـ ومن سواه ؟!

غمغم (أكرم) :

ـ يا للوغد الحقير !

وهتفت (سلوى) :

ـ لابد أن نفعل شيئًا .. أى شىء .

ضمّ (أكرم) قبضته ، وهو يقول فى غضب :

ـ لن يمكنك أن تتصوّرى ، كم أتمنى هذا .

نطقها ، وهو يقرن قوله بحركة عنيفة ، كما لو أنه سيتجاوز حدود الفقاعة خافتة الضوء ، التى تحيط بهم ؛ لينقضّ على الفقاعة المظلمة ، فصاح به (نور) فى صرامة :

ـ إياك أن تفعلها .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ لا أحتملُ فكرة البقاء ساكنًا ، وهذا الحقير يفعل ما يفعله بـ (محمود) يا (نور) .

أجابه (نور) بكل الحزم :

ـ (محمود) حذّرنا من الخروج من هذه الفقاعة ، وخبرته فى الفراغ الزمنى المحدود ، تعنى أنه يدرك مدى الخطر الذى سيواجهنا لو فعلنا .

صاح (أكرم) :

ـ هل سنقف ساكنين إذن ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ كلاّ بالطبع .

سأله الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ وما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

أشار (نور) إلى رأسه ، قائلاً :

ـ أن نفكّر .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وهتف (رمزى) :

ـ نفكّر ؟!

أجابهم فى حزم ، دون أن يرفع عينيه عن تلك الفقاعة المظلمة :

ـ تذكّروا عبارة (محمود) .. العقل لايدحضه سوى العقل .. والعقل وحده .. دعونا إذن نستخدم عقولنا ، بدلاً من انفعالاتنا واندفاعاتنا .. دعونا نستخدم عقولنا وحدها .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ وكيف يا (نور) ؟!

صمت بضع لحظات ، ثم أجاب فى قوة :

ـ (محمود) قال : إننا نستطيع هزيمة عقل خصمنا الوحش بعقولنا ، ولكن ليس على نحو منفرد ، وهذا يعنى أنه لو تآزرت عقولنا ، نستطيع أن نفعل شيئاً ما .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ وهل يمكننا أن نفعل هذا ؟!

قال فى حزم :

ـ يمكننا أن نحاول على الأقل .

ترددت (نشوى) لحظة ، قبل أن تقول :

ـ ألاتظن أن هذا يحتاج إلى خبرة ما يا أبى ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ ربما فى الظروف العادية .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ وليس فى الفراغ الزمنى المتعادل .

تساءلت (مشيرة) ، فى صوت مرتجف :

ـ هل .. هل تعتقد أن هذا الفراغ المظلم الرهيب ، يمكن أن يمنحنا قوة ما ؟!

غمغمت (سلوى) :

ـ هذا احتمال وارد .

ثم أضافت فى حزم :

ـ احتمال كبير .

وتساءل الدكتور (جلال) فى لهفة :

ـ قل لنا : ما ينبغى أن نفعله يا (نور) ، وسنطيع كل أوامرك فوراً .

أجابه (نور) فى سرعة ، وقد تضاعف قلقه ، مع تسارع تموجات تلك الفقاعة المظلمة أمامهم :

ـ سنصنع دائرة صغيرة ، ويمسك كل منا بيد الآخر ، ثم نغلق عيوننا ، ونركّز أفكارنا كلها على أمر واحد .

هتفت (مشيرة) :

ـ العودة إلى عالمنا .. أليس كذلك ؟!

نظر إليها الجميع فى غضب مستنكر ، فى حين أجابها (نور) فى صرامة :

ـ بل سنركّز أفكارنا كلها ، على خروج (محمود) من تلك القاعة السوداء .. خروجه سالمًا .

احتقن وجهها فى حرج ، وهى تغمغم :

ـ بالتأكيد .

بدءوا فى اتخاذ ذلك الوضع ، الذى شرحه (نور) ، وتساءل (أكرم) فى قلق :

ـ هل تعتقد أننا سنستطيع أن نفعلها ؟!

أجابه (نور) :

ـ المهم أن نحاول .

سأله الدكتور (جلال) :

ـ وهل لدينا ما يكفى من الوقت ؟!

تنهّد (نور) قائلاً :

ـ هنا ، لا قيمة للوقت .

تشابكت أيديهم ، وصنعت أجسادهم دائرة صغيرة ، وأغلقوا عيونهم ، وركّزوا أفكارهم ، و...

وأطلقوا عقولهم ..

بأقصى طاقتهم ..

لم يكن هذا أمرًا مألوفًا بالنسبة لهم ..

لذا فقد بذلوا الكثير من الجهد ..

الكثير جدًا ..

فى البداية كان الأمر شاقًا ..

وكان التركيز صعبًا ..

وعسيرًا ..

إلى أقصى حد ..

ورويدًا رويدًا ، راحت أفكارهم تتركّز ..

وعقولهم تصفو ..

وتنطلق ..

ومع انطلاقها ، استرخت أجسادهم ، كما لم يحدث من قبل ..

استرخت ..

واسترخت ..

واسترخت ..

ثم فجأة ، وجدوا أنفسهم ينطلقون ، عبر دوامة مظلمة عجيبة ، بدت وكأنها تجذبهم إلى عالم آخر رهيب ..

عالم الفناء ..

التام ..

كان كل شيء حولهم مظلمًا ، صامتًا ، مخيفًا ، و...

وفجأة امتلأت كينوناتهم كلها بذلك الوجه المخيف ..

وجه خصمهم الرهيب ، الغارق في ظلامه الخاص المرعب ..

لم تكن ملامحه واضحة ، إلا أنهم ميزوا جميعًا تلك الجمجمة المزدوجة المشقوقة ، وتلك التقطيبة السميكة في منتصف الجبهة ..

كل هذا كان يشغل الفراغ كله ..

فراغ عقولهم ..

وعلى الرغم من الفزع ، الذي سرى في عروق بعضهم ، لم تنفصل الأيدي ، أو تتوقف العقول عن التركيز ..

وعن الانطلاق ..

ودون مقدمات ، دوى صوت (محمود) بينهم ، وهو يصرخ :

ـ لماذا أتيتم ؟! تراجعوا .. تراجعوا بأقصى سرعة .. تراجعوا بالله عليكم .

كانت صرخته مباغتة أكثر مما ينبغي ، حتى إنها قد أطلقت في أجسادهم جميعًا رجفة قوية ..

وكاد معظمهم يفقد تركيزه ..

وينهار تمامًا ..

ولكن شيئًا ما ، أو قوة ما ، ساعدتهم على التماسك ، والتآزر ، والتركيز ..

قوة من خارج المكان ..

وخارج الزمان ..

قوة جعلت وجه خصمهم الرهيب يتراجع وسط الظلام ..

ويتراجع ..

ويتراجع ..

وفى الوقت ذاته ، سمعوا صوت (محمود) بينهم ، يهتف :

ـ رباه ! لقد فعلتموها .. لقد فعلتموها يا رفاق .

ومع آخر حروف كلماته ، التى ترددت فى أعمق أعماق عقولهم ، تحركت فجأة تلك التقطيبة ، فى منتصف جبين خصمهم الرهيب ..

وانفتحت ..

وهنا ، لم تستطع (مشيرة) مواصلة التماسك والتركيز ..

ومن حلقها ، انطلقت صرخة رعب هائلة ..

صرخة ، انهار معها ذلك التآزر العقلى دفعة واحدة ..

وكانت النتيجة رهيبة مخيفة ..

بحق ..

* * *

التقى حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى شدة ، وهو يتطلع إلى جثة ذلك الراهب التبتى النحيل ، التى تم انتشالها من بين أنقاض مبنى الأبحاث العلمى ، وغمغم :

ـ أهذا كل ما عثرتم عليه ؟!

تنحنح قائد فريق الإنقاذ ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ نعم .. لقد عثرنا على جثته ، وسط مجموعة أخرى من الجثث ، ووفقًا لآخر المشاهدات ، تصورنا أنها جثث فريق المقدّم (نور) ، ولكنها كانت فى الواقع جثث بعض أفراد الجناح الطبى الخاص .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ وهل عثرتم على جـ... أحم .. على (نور) وفريقه ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ مطلقًا .

قالها ، وأطلق زفرة متوترة من أعماق صدره ، قبل أن يضيف ، فى شىء من العصبية :

ـ لقد نبشنا كل شبر من هذه الأنقاض ، ولم نجد أدنى أثر لهم ، ولست أدرى كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!! المشاهدات كلها تؤكد أنهم كانوا هنا ، حتى آخر لحظة ، و...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يقول فى انفعال :

ـ قلت لك : إنهم مختلفون يا رجل .. ليسوا كأى أفراد عاديين .. هناك شىء ما يحيط بهم دومًا ، ويستبعدهم من قائمة

الموت ، فى أحلك الظروف ؛ لأن باستطاعتهم إنقاذنا ، من عدد هائل من الأخطار ، التى لا قبل لنا بها .

سأله قائد فريق الإنقاذ ، فى شىء من الحذر :

ـ شىء مثل ماذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى سرعة :

ـ العناية يارجل .. العناية الإلهية .. الله (سبحانه وتعالى) يحيطهم برعايته وعنايته ، ويرسل إليهم دومًا من ينقذهم من كل مأزق ، ويخرجهم من كل خطر ..

هزّ الرجل رأسه بعدم اقتناع ، مغمغمًا :

ـ ولماذا هم بالذات ؟! ما الذى يميّزهم عن سواهم ؟!

أجاب القائد الأعلى ، فى إجلال وتقدير :

ـ لأنهم يتقون الله (سبحانه وتعالى) يارجل ، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب (*) .. هذا فى رأيى سر قوتهم ونجاحهم يا هذا .. ذلك المزيج المدهش من الخبرة العلمية الفريدة ، والإخلاص المهنى البالغ ، وتقوى الله (عزّ وجلّ) .. كيف يمكن أن ينهزم فتية مثلهم ؟!

(*) بسم الله الرحمن الرحيم : « ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » صدق الله العظيم ـ الآية رقم (٢) ، من سورة الطلاق ، القرآن الكريم .

تردّد قائد فريق الإنقاذ ، وهو يقول فى حذر :

ـ الموت لا ينتقى حصاده .

قال القائد الأعلى فى سرعة :

ـ إذا ما حان موعده .

زفر الرجل فى توتر ، وهزّ رأسه فى صمت ، وهو يحاول استيعاب الموقف ، فى حين التقط القائد الأعلى جهاز الاتصال المحدود ، الخاص به ، وهو يضغط زره ، قائلاً :

ـ سيادة الرئيس .. إنهم بخير .

ارتفع حاجبا قائد فريق الإنقاذ فى دهشة ، فى حين تساءل الرئيس فى اهتمام بالغ ، عبر جهاز الاتصال :

ـ أأنت واثق من هذا ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وقد تسللت نبرة حماسة إلى صوته :

ـ لا يوجد أى دليل مادى على نجاتهم يا سيادة الرئيس ، ولكن لا يوجد فى الوقت ذاته أى دليل على مصرعهم .. لقد اختفوا فحسب .

قال الرئيس فى قلق :

ـ وماذا لو أنهم انسحقوا مع الانفجار ، أو تلاشوا لسبب ما ، أو ...

وعلى الرغم من تعارض هذا ، مع كل قواعد اللياقة ، وأسس التعامل العسكرى السليم ، غلب الانفعال القائد الأعلى ، وجعله يقاطع الرئيس ، قائلاً فى حماسة شديدة :

ـ أظنهم مازالوا يقاتلون خصمنا الرهيب ، ياسيادة الرئيس .

سأله الرئيس :

ـ وما دليلك على هذا ؟!

هتف القائد الأعلى :

ـ لقد توقّف .

تمتم الرئيس ، فى حذر متسائل :

ـ توقّف ؟!

أجابه القائد الأعلى بنفس الحماسة :

ـ نعم ياسيادة الرئيس .. خصمنا توقّف تمامًا عن مهاجمتنا ، أو حتى تهديدنا ، منذ أذاع بيانه عالميًا ، على الرغم من أن كل القواعد العسكرية كانت تحتم عليه القيام بضربة ما ، بعد البيان مباشرة ؛ لتأكيد قوته ، وردع أية محاولة للتمرّد عليه .

جذبت هذه الكلمات اهتمام الرئيس بشدة ، فتساءل فى لهفة :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أجاب القائد الأعلى فى سرعة :

ـ احتمالان لاثالث لهما ، ياسيادة الرئيس .. إما أنه يستعد لضربة قوية عنيفة ، لا قبل للعالم كله بها ، أو... أو أنه منشغل الآن ، بكل طاقته وكل قوته ، فى صراع عنيف معهم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ مع فريقنا .

طال صمت الرئيس هذه المرة ، وهو يدرس الاحتمال فى ذهنه جيدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لو أن هذا الاحتمال صحيح ، فالأفضل لنا أن ...

قبل أن يتمّ الرئيس عبارته ، دوت فرقعة قوية ، وسط أطلال مبنى إدارة الأبحاث ، وشعر القائد الأعلى وكأن عاصفة عاتية قد ضربت وجهه فجأة ، وسط ضوء مبهر فى المكان ، و...

واتسعت العيون كلها عن آخرها ، أمام ذلك المشهد المذهل ..

المشهد الذى لم يكن من الممكن أن يتخيّل أحدهم حدوثه .. أبدًا .

* * *

٤ ـ التمزُّق ..

مع صرخة (مشيرة) المباغتة ، شعرت (سلوى) بارتجاجة قوية عنيفة ، في كل ذرة من كيانها ، فأطلقت صرخة مكتومة بدورها ، ومدّت يدها ، محاولة التشبُّث بأي شيء ، ولكنها سمعت صوت ابنتها (نشوى) تصرخ :

ـ أمي .

ومع الصرخة ، تلامست أصابعها ، مع أصابع ابنتها ..

ثم تشبَّثت كل منهما بيد الأخرى ..

وانطلقتا ..

قوة هائلة سحبت جسديهما ، في عنف مباغت ، كما لو أن قبضة عملاقة قد انتزعتهما بغتة ، في قلب الفراغ الزمني المتعادل ..

ومع ذعرهما وارتياعهما ، امتزجت صرختاهما ، وجسداهما يهويان ويهويان ، عبر الزمن والمكان ..

والفراغ أيضًا ..

كان الظلام الدامس يحيط بهما من كل جانب ، حتى إنه من المستحيل أن ترى إحداهما الأخرى ..

أو أن ترى حتى نفسها ..

ولكن جسديهما كانا يهويان ..

ويهويان ..

ويهويان ..

فراغ هائل بلا حدود ، انهار خلاله جسداهما ، وهما تصرخان ..

وتصرخان ..

وتصرخان ..

ثم فجأة ، استوقفهما شيء ما ..

شيء مخملي الملمس ، رقيق كالشبح ، قوي كالصخر ، في مزيج يستحيل أن تصفه بدقة ..

أو أن تجد مثيلاً له ، في عالم الواقع ..

شيء أوقف اندفاعهما ، وانهيارهما ، وسقوطهما اللانهائي ، في أعماق ظلمة بلا حدود ، و...

« إنه أنا .. » ..

سمعا الصوت في وضوح ، وسط الظلمة الدامسة ، فارتجف جسداهما ، وهتفت (نشوى) :

ـ يا إلهى .. (محمود) ؟!

وهتفت (سلوى) :

ـ أهو أنت حقًا ؟!

أحاط بهم فجأة ضوء باهت مزرق ، سمح للمراقبين برؤية نفسيهما بصعوبة ..

ورؤية (محمود) أيضًا ..

وبكل لهفة الدنيا وذعرها ، هتفت (نشوى) :

ـ ماذا حدث يا (محمود) ؟! أين نحن ؟! أين الباقون ؟! أين أبى ، و(أكرم) ، و...

قاطعها ، فى مرارة شديدة :

ـ لست أدرى !

امتقع وجه (سلوى) ، وهى تقول :

ـ لست تدرى ؟! ماذا تعنى يا (محمود) ؟! ماذا أصابهم ؟!

تنهّد فى أسى ، وقال :

ـ صرخة (مشيرة) مزقت حالة التآزر العقلى ، التى نجحتم فى بلوغها ، والتى أنقذت حياتى ، من براثن ذلك الخصم الشيطانى

الرهيب ، ومع التمزّق المفاجئ ، تناثرت أجسادكم ، وسط الفراغ الزمنى المتعاقل ، كما لو أن قنبلة قد انفجرت وسطكم .

ساءلت (سلوى) بصوت مرتجف :

ـ أتعنى أنهم هنا ، فى مكان ما ؟!

صمت لحظة ، ثم قال فى خفوت :

ـ ربما .

هتفت (نشوى) مذعورة :

ـ ربما ؟!!

أشار بيده فى أسى ، قائلاً :

ـ هذا كل ما أملك قوله .. فى الوقت الحالى على الأقل .

سألته (سلوى) ، فى لهفة مذعورة :

ـ وهل .. هل توجد وسيلة للاجتماع بالآخرين مرة أخرى ؟!

تردّد لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ ربما .

هتفت (نشوى) :

ـ لست أحتمل هذا الجواب .

أجابها فى حزم :

ـ ولست أملك سواه الآن .

قالت (سلوى) فى عصبية :

ـ (محمود) .. لابد أن تساعدنا .

قال فى مرارة :

ـ وهل أفعل سوى هذا يا (سلوى) ؟!

قالت (نشوى) فى سرعة :

ـ أمى تقصد أن تساعدنا فى إيجاد أبى والآخرين .

أشار بسبابته ، قائلاً :

ـ لا وقت لهذا للأسف .. فمع تفرقكم ، تمزقت تلك الفقاعة العقلية ، التى أحاطتكم بها عقول رهبان التبت ، والتى كانت الضمان الوحيد ، لعودتكم سالمين إلى العالم ، والآن لابد أن نبذل قصارى جهدنا ، لإعادتكم إلى العالم المادى ، قبل أن يعاود ذلك الوحش هجومه .

سألته (سلوى) فى ارتياع :

ـ وماذا عن (نور) والآخرين ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ سأبذل قصارى جهدى للبحث عنهم ، والسعى لإنقاذهم .

بدا الخوف على وجهيهما ، فتابع فى حزم :

ـ هذا وعد .. ثقا بى .

تنهدت (سلوى) فى أسى ، قائلة :

ـ ثقتنا بك هى كل ما نمتلك يا (محمود) .

وأضافت (نشوى) :

ـ ولكن كيف يمكن أن تعيدنا إلى عالمنا ؟!

انتفض جسد (سلوى) ، وهى تهتف :

ـ لن أعود بدون (نور) .

أجابها (محمود) فى حزم :

ـ بل ستعودين يا (سلوى) .. ستعودين من أجل ابنتك .. كما سنعود كلنا من أجل (نور) ، و(أكرم) ، و(مشيرة) ، والدكتور (جلال) ... بل من أجل الأرض كلها .. من أجل بقائها ومستقبلها .. من أجل حريتها واستقلالها .. عودتكما إليها ، ستصنع الرابطة التى أحتاج إليها ، بينى وبين الأرض ..

الرابطة التى قد تساعدنا فى هزيمة خصمى وخصمكم ، وخصم كوكبنا كله .. بل خصم البشرية بأكملها .

انخفض صوت (سلوى) ، وهى تقول فى تأثُّر :

ـ وكيف سنعود إلى الأرض ؟!

أجابها بنفس الخفوت :

ـ بالوسيلة نفسها يا (سلوى) .. بتآزر عقولنا واتحادها ، وإطلاق طاقاتها المجتمعة دفعة واحدة .

أمسكت (سلوى) يد ابنتها (نشوى) ، ومدت كلتاهما أصابعها إليه ، فتنهد ، قائلاً :

ـ ما تريانه أمامكما ليس جسدى العادى .. إنها صورة وهمية له ، يصنعها خيالكما ، لاستيعاب وجودى معكما .. يكفيكما أن تمسكا بأيديكما معًا ، وسيشارك عقلى بكل طاقته معكما .

أمسكت كل منهما يدى الأخرى ، وأغلقتا عيونهما لحظة ، ولكن (نشوى) عادت تفتح عينيها فجأة ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

سألتها أمها فى قلق شديد :

ـ ماذا حدث يا (نشوى) ؟!

لوّحت (نشوى) بكفها ، قائلة :

ـ لقد استعاد ذهنى فجأة ، ذلك المشهد المخيف .. مشهد خصمنا الرهيب بتلك العين المفزعة .. رباه ! أهذا حقيقى ؟!

التقط (محمود) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ نعم يا (نشوى) .. إنه حقيقى .

ردت فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! مستحيل ! يا إلهى !

قال (محمود) فى صرامة :

ـ لا وقت لهذا يا (نشوى) .. لا وقت .

أومأت برأسها فى توتر ، مغمغمة :

ـ لا بأس .. لا بأس .

عادت تمسك يدى أمها ، وتُغلق عينيها فى قوة ، وتطلق العنان لعقلها بلا حدود ..

وفى سرعة تفوق المرة الأولى ، ربما بحكم الخبرة ، صفت العقول ، وتركَّزت ، وانطلقت ..

وفى نفس الوقت ، الذى اتصلت فيه العقول ، وبدأت انطلاقتها ،

عبر الزمان والمكان ، برزت من وسط الظلام الدامس فقاعة سوداء رهيبة ، راحت تتدحرج فى نعومة وصمت ، نحو (محمود) مباشرة ، وتقترب منه رويدًا رويدًا ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وكان من الواضح أن الخصم الرهيب قد قرّر شن هجوم جديد ..

هجوم شامل ..

وعنيف ..

ونهائى ..

* * *

فجأة ، وبلا مقدمات ، ومع الضوء الساطع ، والفرقعة القوية ، سقطت أجساد (مشيرة) و(أكرم) والدكتور (جلال) ، وسط حطام مركز الأبحاث العلمية ..

أمام العيون الذاهلة ، انشق عنهم الفراغ بغتة ، على ارتفاع متر واحد من سطح الأرض ، ليسقط ثلاثتهم فى عنف ، وكل منهم يلهث فى شدة ، كما لو أنهم قد انتهوا على الفور ، من سباق عدو طويل ..

ولثوان ران على المكان كله صمت رهيب مهيب ، قطعه القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو يندفع نحوهم ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! لقد عادوا .. لقد عادوا ..

صاح به الرئيس ، عبر جهاز الاتصال ، الذى لم يُغلق بعد :

ـ عادوا ؟! هل تعنى أن (نور) وفريقه قد ظهروا مرة أخرى ؟!

أجابه القائد الأعلى فى انفعال :

ـ ليس جميعهم يا سيادة الرئيس .. (أكرم) و(مشيرة) والدكتور (جلال) فحسب .. ولكنها البداية .. البداية يا سيادة الرئيس .

هتف به الرئيس فى حماسة :

ـ قم بعملك هناك يا رجل .. سنرسل إليك رجال الإسعاف ، وطاقم فحص خاصًا ، من معامل رياسة الجمهورية ، وأبلغنا بالتطوّرات أولاً فأولاً .

أنهى الرئيس الاتصال ، فسأله وزير الدفاع فى لهفة :

هل عادوا بالفعل ؟!

أشار الرئيس بيده ، قائلاً :

- الأمور تتطوّر فى الاتجاه الإيجابى أيها الوزير ، بعد عاصفة سلبية طويلة .

تساءل الوزير فى حذر :

- وما علامات ذلك التطوّر الإيجابى ، ياسيادة الرئيس ؟!

التقط الرئيس جهاز اتصال محدود ؛ ليلقى أوامره عبره ، وهو يجيب فى حزم واثق :

- جزء من الفريق عاد .

ثم ضغط أزرار الجهاز مضيفاً فى حزم أكثر :

- وهذا يعنى الكثير .. والكثير جداً .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها الرئيس عبارته ، كان (أكرم) يهب واقفاً ، وسط الحطام والخراب ، وعلى الرغم من الجراح التى أصابته ، من جراء السقوط ، وهو يندفع نحو زوجته (مشيرة) ، هاتفاً :

- رباه ! لقد عدنا .. لقد عدنا يا (مشيرة) .

هتف به القائد الأعلى ، فى لهفة متوترة :

- أين الباقون يا (أكرم) ؟!

احتضن (أكرم) زوجته ، التى ارتجفت فى شدة ، وهتف :

- لست أدرى .. حقيقة لست أدرى .

أما الدكتور (جلال) ، فقد قاوم ذلك الدوار المحيط به فى شدة ، وهو يهتف ، بكل انفعال الدنيا :

- لقد عدنا ؟! رباه ! لقد عدنا ! عدنا !!

صاح به القائد الأعلى :

- وأين كنتم بالضبط يا دكتور (جلال) ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى عنف ، وهو يهتف فى انفعال :

- أين كنا ؟! وكيف يمكننى أن أصف لك أين كنا أيها القائد ؟! أنا نفسى أجهل أين كنا ؟!

هتف به القائد الأعلى فى غضب :

- أريد وصفاً علمياً يارجل .. وصفاً علمياً ، يامدير مركز الأبحاث العلمية .. وصفاً علمياً .

لوّح الدكتور (جلال) بذراعه ، هاتفاً :

- ماكنا فيه لايشبه أى مجال علمى معروف .

بدت الحيرة على وجه القائد الأعلى ، فى حين ارتجف جسد (مشيرة) ووجهها فى شدة ، وهى تهتف فى رعب :

ـ لقد عدنا يا (أكرم) .. عدنا .

ضمها (أكرم) إليه أكثر ، وهو يقول :

ـ نعم يا حبيبتى .. لقد عدنا .. كل شىء انتهى ، بالنسبة لنا .

دفعته عنها ، وهى تصرخ :

ـ ألم تفهم ؟! قلت لك : لقد عدنا .

بدت الدهشة والحيرة فى ملامحه ، وهو يتطلَّع إليها متسائلاً ، فصاحت مكملة ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ عدنا إليه ؛ ليواصل محاولات القضاء علىَّ يا (أكرم) .

قالتها ، وانهارت باكية ، وهىَ تلقى نفسها مرة أخرى بين ذراعيه ، وتغمر صدره بدموعها ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتمتم فى عصبية :

ـ نعم .. لقد عدنا .

قالها ، وضمَّها إليه فى قوة ، ثم أبعدها فى رفق ، ونهض يقول للقائد الأعلى فى حزم صارم :

ـ سيِّدى .. أريد فريقاً علمياً ، مع برنامج رسم رقمى متقدِّم ، وبأقصى سرعة ممكنة .

بدت الدهشة على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ فريق علمى ؟! أنت يا (أكرم) ؟!

أجابه (أكرم) بمنتهى الحزم :

ـ نعم .. أنا يا سيِّدى .. أنا الهمجى رقم واحد ، فى فريق المقدِّم (نور) .. وسيدهشك فى الواقع كم سيمكنّنى أن أمنحكم من معلومات ، بشأن ذلك الوغد .

ثم شدّ قامته ، مضيفاً فى اعتداء :

ـ وسأثبت لكم جميعاً ، أننى أستحق تماماً كونى عضواً فى أفضل فريق مخابرات علمى عالمى .. أستحقه عن جدارة .

نطقها بحزم شديد ، وقوة مدهشة ..

وبإصرار ..

منتهى الإصرار ..

* * *

على الرغم من القوة والعنف ، اللذين يندفع بهما جسد (نور) ، عبر ذلك الفراغ الزمنى المتعادل ، ووسط تلك الظلمة الدامسة الرهيبة ، لم يتوقَّف عقله عن الانطلاق لحظة واحدة ..

لقد أدرك على الفور أن صرخة (مشيرة) ستفسد كل شيء ..

ولكنه لم يتصور أبدًا أن تصنع هذا الانفجار الزمنى المخيف ..

لقد انفصل عن الجميع ، وها هو ذا يهوى وسط الفراغ ..

ويهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

وبقدرة مدهشة ، يندر أن يتمتع بها شخص عادى ، فصل عقله تمامًا عن جسده ، وانطلق به يفكر فى عمق ، ويدرس الموقف كله منذ البداية ، وحتى هذه اللحظة ..

وهنا ، بدا له أن خصمهم ليس جبارًا منيعًا ، كما بدا لهم منذ البداية ..

صحيح أنه قادر على السيطرة على العقول ، والأجساد ، ودفع البشر إلى القيام بأعمال رهيبة ، لا يمكن أن تخطر حتى بأذهانهم ، إلا أنه مازال عاجزًا عن الانتصار عليهم ..

ما زال هناك ما يفصله عنهم ..

وما يمنعه من بلوغهم ..

أما هم ، فقد توافرت لديهم معلومات عديدة عنه ..

إنه طفل مشوّه ، يمتلك مخين متصلين بقاعدة واحدة ، وحبل شوكى واحد ..

طفل وُلِدَ بقدرات تفوق أى بشرىٍّ عادى ..

ولقد نبذه المجتمع كله من أجل هذا ..

نبذه ..

ورفضه ..

وقاومه ..

وفى النهاية ، تحقق للمجتمع ما أراده ..

وانفصل الطفل ..

والصبى ..

والشاب ..

والرجل أيضًا ..

انفصل عن المجتمع ، وبغضه ، واعتبره عدوًا له ..

عدوًا رهيبًا ، لابد من القضاء عليه ..

وبأى ثمن ..

نبذ المجتمع له ، ومعاملته له بازدراء واحتقار ، ورفضه لوجوده الممسوخ فيه ، أصابه بجنون ..

جنون اضطهاد عنيف ..

ورغبة وحشية ، فى القضاء على المجتمع ..

والبشر ..

كل البشر ..

وفى سبيل هدفه الشيطانى هذا ، سافر إلى (التبت) ، وقضى عقدين من الزمان ، وسط رهبانه ..

وثلوجه ..

وصمته ..

وهناك تضاعف جنونه ألف مرة ..

وتضاعفت قوته ، ألف ألف مرة ..

عقدان من الزمان ، وضع خلالهما خطته ..

خطة السيطرة على الأرض ..

وسحق البشر بلا رحمة ..

ولقد بدأ هجومه على نحو منظَّم ، لينشر دعايته فى كافة أنحاء الأرض ، ويخبر الجميع أنه قد جاء ..

جاء لينتقم ..

ويدمِّر ..

ويسحق ..

بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وبلا ...

ولكن مهلاً ..

توقَّف عقل (نور) بغتة ، عند تلك النقطة ، ليثب إلى أعماقه سؤال جديد آخر ..

سؤال ، بدا له أكثر أهمية ..

ألف مرة ..

لماذا بدأ على هذا النحو ؟!

لماذا بدأ بسياسة الخطوة خطوة؟، ما دام يمتلك هذه القوة المدهشة ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كان من الممكن أن يبدأ هجومه مباشرة ، بحدث عنيف قوى ، يجذب إليه كل الأنظار ..

وكل الأفكار ..

وكل المخاوف ..

ولكنه لم يفعل ..

لم يبدأ بحدث قوى ..

بل بحدث محدود ..

محدود ، على الرغم من كل ما ارتبط به ، من أمور عجيبة مخيفة ، تتجاوز كل حدود العقل ..

وحدود العلم ..

وحدود المنطق ..

ثم سعى بعدها لنشر ما حدث عالمياً ، وبثه عبر كل الأقمار الإعلامية الدولية ؛ ليصل إلى كل بشرى ، على وجه الأرض ..

كان يحتاج إذن إلى الدعاية ..

إلى الانتشار ..

إلى الخوف ..

نعم .. إنه الخوف ..

خوف الناس مما يفعله ، هو الذى يمنح عقله القوة ..

مخه الجبار قادر على امتصاص كل المشاعر السلبية ، التى تنطلق من عقول البشر ، مع الخوف ، والفزع ، والقلق ، والحيرة ..

لهذا تزايدت قوته ، مع تزايد انتشار أخباره ..

تزايدت أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

هو الخوف إذن ..

الخوف هو مفتاح قوته ..

ونقطة ضعفه أيضاً ..

وبسرعة مدهشة ، وعلى الرغم من أن جسده يواصل السقوط ، على نحو مخيف ، داخل الفراغ الزمنى المتداخل ، راح

عقله يرتب الموقف كله ، ويعيد تنسيقه ، لتتضح الصورة أكثر ، و...

وفجأة ، انتفض جسده فى عنف ..

ثم راوده شعور بأن الفراغ من حوله قد تلاشى ..

وأنه قد سقط ..

سقط على أرض رخامية صلبة باردة ..

وبعدها ، أحاط به فجأة ضوء خافت ..

ضوء متراقص ، كما لو كان ضوء مجموعة من المشاعل القديمة ..

ولوهلة ، عجز عن فتح عينيه تماما ، على الرغم من شعور جسده بنوع من الاستقرار المتزن ..

ثم دفع نفسه إلى التوازن ، وفتح عينيه ، وتطلّع إلى ما حوله ، و...

وقفزت دهشته إلى الذروة ..

ففى اللحظة التى فتح خلالها عينيه ، أدرك (نور) أنه قد انتقل بالفعل ، عبر الزمان والمكان ، إلى آخر مكان يمكن أن يتصوره ..

على الإطلاق .

* * *

٥ـ الفزع صورة ..

تراجع وزير الدفاع ، فى حركة حادة ، فى نفس الوقت الذى انعقد فيه حاجبا رئيس الجمهورية فى شدة ، وكلاهما يحدق فى شاشة الكمبيوتر ، التى تحمل ذلك الرسم الرقمى ، الذى صنعه برنامج احترافى خاص ، لصورة الخصم الرهيب ، الذى أذاق (مصر) كلها العذاب ، منذ ساعات طوال ، بدت وكأنها أبدية ..

وبكل دهشة وتوتر الدنيا ، تساءل الرئيس :

ـ أهذا ممكن ؟!

بدا الدكتور (جلال) عصبيًا ، إلى حدٍّ كبير ، وهو يقول :

ـ ليس من الناحية العلمية أو الطبية المعروفة يا سيادة الرئيس ، ولكن ما عهدته ، خلال الساعات القليلة الماضية ، جعلنى أؤمن أنه ليس بالعلم وحده ، يمكن أن يقيس المرء ما يمرّ به من أحداث .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ تقصد ليس بالعلم المعروف وحده .

لوّح الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ فليكن .. أعلم أن القاعدة العلمية تقول : إن ما يبدو لنا

كالمعجزات أو الخرافات اليوم ، قد تجد له قواعد علمية ثابتة غداً ، ولكن كل ما مرّ بى شخصياً ، أمور يعجز كل علم درسته فى حياتى عن تفسيرها .

عاد الرئيس يشير إلى الرسم الرقمى ، قائلاً فى صرامة ، لم تخل من نبرة توتر :

ـ سألتك عن هذا .

عاد الكل يتطلّع إلى الرسم ، قبل أن يهزّ الدكتور (جلال) رأسه ، ويجيب فى عصبية :

ـ ما أمامنا أيها السادة ، هو رسم تصورّى ، بناء على الوصف الدقيق ، الذى أدلى به (أكرم) ، عضو فريق (نور) ، مما شاهده (عقلياً) ، فى أثناء وجودنا فى ذلك الفراغ الزمنى المخيف .. إنه رسم لرجل ، غرقت معظم ملامحه الأساسية فى ظلام عجيب ، ولكن رأسه الأصلع يبدو واضحاً ، بشكله المزدوج ، كما لو أنه ثمرة كمثرى ، مشقوقة من أعلى ... انظروا أيها السادة .. هنا يقبع مخ مزدوج .. مخ يتكوّن من ضعف عدد فصوص المخ البشرى العادى ، باستثناء فص أمامى واحد ، وكل هذه الفصوص تجتمع مرة أخرى ، عند قاعدة مخ طبيعية ، ومخيخ واحد ، له نفس حجم المخيخ البشرى العادى ، وجسم صنوبرى واحد ، وكل هذا ينتهى بحبل شوكى طبيعى .. ووفقاً لرأى الفريق العلمى ، الذى استعان به (أكرم) ، فهذا المخ المزدوج ، أو نصف المزدوج ، يمكن أن يمنح صاحبه مميزات إضافية مدهشة ، وبخاصة فيما يتعلّق بسرعة استجابته للظروف المحيطة ، وقدرة مخه على نقل الإشارات ، من وإلى كل أجزاء وأطراف الجسم .

بدا وزير الدفاع ، وكأنما يقاوم توتراً عنيفاً فى أعماقه ، وهو يشير إلى منتصف جبين الوجه مبهم الملامح ، المرسوم على شاشة الكمبيوتر ، قائلاً فى اشمئزاز واضح :

ـ وما هذا بالضبط ؟!

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، ازدرد خلالها لعابه ، قبل أن يجيب :

ـ عين .

انعقد حاجبا الرئيس أكثر ، فى حين هتف وزير الدفاع ، بكل توتر الدنيا :

ـ عين ثالثة ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا، وأشار بسبابته إلى تلك العين الثالثة، فى منتصف جبهة ذلك الخصم الرهيب، مجيبًا:

- نعم .. عين ثالثة، فى منتصف الجبهة تمامًا .. أمر لايمكن أن يحدث فى الطبيعة أبدًا، ولكن بعض الأساطير القديمة وصفت الشكل نفسه، بدون العينين الطبيعيتين(*) .. وصفت عملاقًا بعين واحدة، فى منتصف جبهته .. (سيكلوب)، كما أسمته الأساطير، ولكن ما وصفه (أكرم)، لو أنه دقيق كما نتصوَّر، يوحى بأن هذه العين الثالثة عمياء.

تساءل الرئيس فى حذر:

- عمياء ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة:

- نعم ياسيادة الرئيس .. لون القرنية، وثباتها فى منتصف العين، يوحيان بأنها عمياء، ولكن ..

تنحنح فى توتر، قبل أن يضيف، فى صوت مختنقٍ مبحوحٍ:

- ولكن هذا لايعنى أنها لاترى.

التفت إليه الكل، فى دهشة مستنكرة، عبَّر عنها وزير الدفاع، وهو يقول فى حدّة:

(*) حقيقة ..

- أى قول متناقض هذا بالضبط ؟! كيف يمكن أن تكون هذه العين الثالثة العجيبة عمياء، ولكنها ترى ؟!

أشار الدكتور (جلال) بسبابته، وبدا أكثر عصبية وانفعالاً، وهو يقول:

- ربما بدا هذا القول متناقضًا، من زاوية العلم التقليدى، أو قواعد الطب المعتادة، ولكن الخبراء لديهم رأى آخر، فى هذا الشأن.

سأله الرئيس:

- أى رأى هذا ؟!

عاد الدكتور (جلال) يشير إلى الرسم الرقمى على الشاشة، مجيبًا:

- لو أن الرسم صحيح، وفقًا لوصف (أكرم)، فمن العسير أن يكون لهذه العين الثالثة عصب بصرى تقليدى، إذ إنه من العسير تشريحيًا، فى هذه الحالة، أن يتصل عصبها البصرى بالعصبين البصريين، للعينين العاديتين، ثم إنه لو حدث هذا، فستبدو الرؤية مرتبكة مشوَّشة، مع استقبال مركز الإبصار لصورة من ثلاثة مصادر مختلفة، يصعب مزجها على نحو طبيعى، إلا لو تحوَّرت كل وظائف ذلك المخ المزدوج،

بشكل يربك كل شيء .. لذا فقد افترض الخبراء ، أن هذه العين الثالثة تتصل بعصب خاص ، عبر عظام الجبهة ، بفص المخ الأمامى مباشرة ، وأن هذا بالتحديد ، ما يمنحه تلك القوة العقلية الفائقة .

صمت الكل تمامًا ، بعد أن انتهى الدكتور (جلال) من حديثه ، وكلهم يحدقون فى ذلك الرسم الرقمى ، قبل أن يقول وزير الدفاع فجأة :

ـ هذا مستحيل !

استدار إليه الكل فى دهشة ، وتساءل القائد الأعلى :

ـ لماذا مستحيل ؟!

أجاب الوزير فى توتر :

ـ هل تريدون إقناعى بأنه من الممكن أن يولد طفل ما بمخ مزدوج ، وعين ثالثة فى منتصف جبهته ، دون أن تمتلئ الصحف ، فى العالم أجمع ، بألف ألف خبر عنه ، أو تسجل المراجع الطبية حالته الفريدة الـ ..... المخيفة هذه !

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ مراجعتنا للسجلات أثبتت أن كل شيء قد تم على نحو دقيق

ورسمى تمامًا ، وتم عمل كل الفحوص اللازمة للطفل ، باعتباره حالة تحوّر جنينى خاصة جدًا ، وغير مسبوقة ، فى أى مرجع طبى معروف ، ولكن الأمور تطوّرت على نحو عجيب للغاية بعدها .. الطبيب الذى أشرف على عملية الولادة ، لقى مصرعه فى حادثة سير ، والأطباء الثلاثة ، الذين فحصوا الحالة وسجلوها ، التهمهم حريق غامض ، مع كل ما سجلوه من ملاحظات طبية ، ولم يتبقَّ سوى سجلّ الحالة الرئيسى ، والذى لم تعد له أهمية ، بعد أن اختفى الطفل وأبواه فجأة ، ولم يعثر لهم أحد على أثر .

قال الوزير فى حدة :

ـ وماذا عن مسار حياته ؟! كيف لم يثر الاهتمام والانتباه ، بجمجمته المشقوقة ، وعينه الثالثة ، فى منتصف جبهته ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

ـ نمو الشعر أخفى شق الجمجمة ، وجعل الأمر يبدو أشبه برأس مشوّه فحسب ، أما تلك العين الثالثة ، فقد تدرّب على إخفائها طوال الوقت ، بحيث تبدو مثل تشوّه ملحوظ ، فى منتصف الجبهة .. تشوّه أشبه بتقطيبة سميكة ..

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى توتر :

ـ من الواضح أنه قد قضى عمره كلـه ، يعانـى من نبذ المجتمع له ، ونفوره الشديد منه .. وأنه الآن ينتقم .

ردّد الرئيس فى توتر :

ـ ينتقم ؟!

تنهّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ نعم ياسيادة الرئيس .. ينتقم منا جميعًا .. وبمنتهى العنف .

ران عليهم الصمت ، بضع لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم الرئيس :

ـ يبدو أنه من العسير استيعاب أمر كهذا .

وافقه الكل بإيماءة رأس صامتة ، باستثناء الدكتور (جلال) ، الذى قال فى توتر :

ـ أمر طبيعى ياسيادة الرئيس .

هزّ الرئيس رأسه ، وقال :

ـ أريد استيضاح بعض الأمور ، من شاهد العيان نفسه .

ثم التفت إلى القائد الأعلى ، مستطردًا :

ـ من (أكرم) شخصيًا .

التقط القائد الأعلى جهاز الاتصال المحدود فى سرعة ، وهو يقول فى حزم :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .

وانشغل بإجراء الاتصال مع (أكرم) ، فى حين قال وزير الدفاع فى قلق واضح :

ـ الواقع أننى أتساءل يا سيادة الرئيس : لماذا نمرّ بحالة السكون المخيفة هذه ؟! إننى أشعر وكأنه ذلك السكون ، الذى يسبق العاصفة ، وأن ذلك الـ .. الـ .. المسخ الرهيب سيباغتنا بهجوم ساحق ماحق ، لا قبل لنا به .

غمغم الدكتور (جلال) ، فى اضطراب واضح :

ـ هذا أخشى ما أخشاه ، وأكثر ما ...

قاطعه رئيس الجمهورية فجأة ، قائلاً :

ـ مهـلاً ..

قالها ، وهو يتطلّع فى قلق إلى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فاستدار إليه الجميع بحركة غريزية ، ورأوا تلك الانفعال العجيب على وجهه ، والذى جعل الرئيس يسأله فى توتر :

ـ أهناك أمر ما ، يتعلّق بـ (أكرم) ؟!

استدار إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ لن يمكنك أن تصدّق ، ما فعله ذلك المجنون يا سيادة الرئيس .. لن تصدّق أبدًا ..

وكانت صدمة جديدة ..

وعنيفة ..

* * *

أفكار عديدة ، تدفّقت فى عقل (أكرم) ، على نحو شديد التوتر ، وهو يضمّ زوجته الخائفة المرتجفة إلى صدره ، بعد أن أدلى بكل ما لديه لفريق الأطباء والخبراء ، وخبير الرسم الرقمى الإليكترونى ، حول ذلك الخصم الرهيب ..

كان يشعر بغضب لا محدود فى أعماقه ، وهو يستعيد كل ما حدث ..

المواجهات العنيفة ..

السيطرة التامة على عقل (مشيرة) ..

وعقل (نور) ..

وعقول الآخرين ..

دماء الضحايا ..

تدمير مبنى إدارة الأبحاث العلمية ..

الهجوم على المخابرات العلمية نفسها ..

الراهب التبتى ، الذى دفع حياته ، فى سبيل واجبه ..

الفراغ الزمنى المتعادل ..

الضياع فى نهر الزمن ..

التمزّق ..

وصرخة الرعب ، التى أطلقتها (مشيرة) ..

وتضاعفت موجة الغضب فى أعماقه أكثر وأكثر ..

صحيح أنه قد عاد إلى عالمه ، ولكنه فقد الباقين ..

فقد (نور) ، و(سلوى) ، و(نشوى) ، و(رمزى) ..

ربما يعودون ..

أو لا يعودون ..

لم يعد هناك أمر واضح ..

أو مؤكّد ..

أو مضمون ..

إنهم يواجهون خصمًا رهيبًا ، حقيرًا ، لا يمكنك أن تأمن جانبه ، مهما حدث ، ومهما تطوَّرت الأمور ..

خصم حاول باستماتة أن يقتل زوجته (مشيرة) ، ليدفن معها سره إلى الأبد ..

ربما هو ذلك السر ، الذى كشفته عقولهم ، فى رحلتهم الذهنية ، مع ذلك الراهب التبتى ، أو عبر انطلاقتهم العقلية ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل ..

أو هو سر آخر ..

سر لم ينكشف بعد ..

سر هو من القوة ، بحيث يحتاج إلى حماية مستميتة ..

أو إلى القتل ..

قتل كل من يكشفه ..

وبلا رحمة ..

وهذا يعنى أنه لن يترك (مشيرة) وحالها أبدًا ..

سيعاود المحاولة حتمًا ..

محاولة القضاء عليها ..

سيحاول مرة ثانية ..

وثالثة ..

وعاشرة ..

ولن يتوقَّف حتى يظفر بها ..

أو يظفر هو به ..

تحوَّل غضبه كله إلى طاقة هائلة ، عربدت فى عروقه ، وبعثت فيها قوة بلا حدود ، جعلته يضمّ زوجته إلى صدره أكثر ، وهو يتمتم فى حزم صارم :

ـ نعم .. هذا هو الحل الوحيد .

سألته (مشيرة) ، فى ذعر واضح :

ـ عن أى حل تتحدث يا (أكرم) .

تطلَّع إلى وجهها بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ لا يبدو لى هناك حل سواه يا عزيزتى .

سألته مذعورة ، وقد أخافتها صرامة ملامحه الشديدة :

ـ حل لماذا ؟!

تطلّع إلى عينيها مباشرة هذه المرة ، وهو يقول :

– لابد أن أظفر به .

ردّدت فى حيرة هلعة :

– تظفر به ؟!

أومأ برأسه ، مجيبًا بكل الحزم :

– نعم يا عزيزتى .. هذا هو الحل الوحيد .

قالها ، وأبعدها عن صدره فى رفق ، ثم نهض يسأل أقرب رجال الأمن إليه :

– إنكم لم تجدوا ذلك الوغد ، عندما اقتحمتم وكره .. أليس كذلك ؟!

أومأ رجل الأمن برأسه ، قائلاً :

– بلى يا سيدى .. المكان كان خاليًا تمامًا ، ومظلمًا إلى حد مخيف .. إلى حد .. إلى حد ..

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يسأله :

– إلى حد غير عادى .. أليس هذا ما تقصده ؟!

ازدرد الرجل لعابه ، وقال فى توتر ، وكأنه يستعيد ذكرى تلك اللحظات الرهيبة :

– بلى يا سيدى .. كان ظلامًا رهيبًا ، مخيفًا ، يبدو وكأن أضواء الدنيا كلها لا تكفى لتبديده .

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، وهو يغمغم :

– بالتأكيد .

هتفت به (مشيرة) ، بكل توتر الدنيا :

– ماذا هناك يا (أكرم) ؟!

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب .. هدوء لم تعتده منه قط :

– اطمئنى يا عزيزتى .. لن يظفر بك ذلك الوغد قط .

سقط قلبها بين قدميها ، وهى تسأله :

– ماذا تعنى ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، ومدّ راحته ، يربّت بها على خدها ، قائلاً :

– مهما كان الثمن .

ارتجفت كل ذرة من كيانها ، وهى تسأله فى رعب :

– (أكرم) .. ماذا تنوى أن تفعل ؟!

مال نحوها ، حتى شعرت بأنفاسه الحارة ، وهو يجيب :

ـ لن أنقذك من ذلك الوغد يا حبيبتى .

هتفت به :

ـ ماذا تعنى بالله عليك ؟!

اعتدل بحركة حادة ، والتفت إلى طاقم رجال الأمن ، المسئول عن حمايتهما ، وقال فى صرامة شديدة :

ـ احصلوا على حمايتها بأرواحكم .

ثم أضاف فى مرارة :

ـ لو أن هذا ممكن .

اعتدل الرجال بحركة عسكرية واحدة ، ورفع أكبرهم رتبة يده بالتحية ، وهو يقول فى قوة :

ـ اطمئن يا سيدى .

مط شفتيه ، متمتمًا :

ـ سأحاول .

قالها ، واندفع خارج المكان ، فصاحت به (مشيرة) فى ارتياع :

ـ (أكرم) .. أرجوك .

ولكنه لم يسمع صيحتها ..

أو لم يتوقَّف عندها ..

لقد اندفع خارج المكان ، ووثب داخل سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، وذهنه لا يحمل سوى فكرة واحدة ..

القضاء على ذلك الخصم الرهيب ..

وبأى ثمن ..

ومع تلك الفكرة الواحدة المنفردة ، قاد سيارته إلى منزله ، وأوقفها أمامه ، ووثب منها إلى داخله ، واتجه إلى حجرة مكتبه مباشرة ، وتوقَّف أمام لوحة قديمة على أحد جدرانه ، مغمغمًا :

ـ اعترف يا (أكرم) أنك همجى بالفعل ، بالنسبة إلى هذا العصر ، الذى سيطر فيه العلم على كل شىء .. اعترف بأنك مازلت تعشق الوسائل القديمة ، وتميل إليها دومًا .

ثم ضغط زرًا مجاورًا للوحة القديمة ، مستطردًا :

ـ حتى فى إخفاء مقتنياتك الشخصية .

انزاحت اللوحة القديمة ، لتكشف خلفها تجويفًا بالجدار ، وهو يتابع فى هدوء عجيب للغاية :

ـ لوحة تخفى مقتنياتك .. فكرة استهلكتها أفلام السينما ، منذ قرن كامل من الزمان ، ولكنك ما زالت تميل إليها ؛ لأنك فى أعماقك همجى يا (أكرم) .. همجى حقيقى ..

مدّ يده داخل ذلك التجويف ، والتقط منه مسدسين ، دسّهما فى حزامه من الجانبين ، ثم جذب مدفعًا آليًا قصيرًا ، وحزامًا من القنابل اليدوية الصغيرة ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويقول فى حزم :

ـ هيا أيها الوغد .. استعد لهذه المواجهة الجديدة مواجهة بين عقلك .. وعقلى .

حمل أسلحته ، واندفع بها إلى خارج المنزل ، وتوقّف لحظة أمام سيارته ، ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وهتف :

ـ لست أدرى أين أنت الآن يا (نور) .. لست أدرى أين أنتم جميعًا يا رفاق ، ولكننى سأفعلها من أجلكم .. من أجلكم جميعًا .. سأواجه ذلك الخصم الرهيب ، بأسلوب لم يتوقّعه أو يتخيّله ..

والتقط نفسًا عميقًا آخر ، ليضيف بمنتهى الحزم والصرامة :

ـ أسلوبى أنا .

قالها ، ثم وثب داخل سيارته ، وأدار محركها ، وانطلق بها نحو هدف حدّده مسبقًا ..

ويهدف ، حدّده بكل إصراره ..

وحزمه ..

وإرادته ..

وكل ما ركّز عليه ذهنه ، وهو ينطلق نحو هدفه ، هو أن يمحو من عقله كل الأفكار ..

أن يوقف كل لمحة ، تنبت فى أعمق أعماق مخه ..

وهذا حتى تحين المواجهة ..

المواجهة التى قرّر أن يدفع فيها ثمنًا باهظًا ، دون ذرة واحدة من التردّد ..

حياته .

* * *

٦ ـ العقول ..

فى صمت مهيب ، التفَّ رهبان ذلك المعبد البوذى القديم ، فى أعماق جبال وثلوج (التبت) ، فى دائرة منتظمة واسعة ، حول ساحة المعبد الرخامية ، واتجهت عقولهم كلها نحو مركزها ..

حيث استقر (نور) ..

ولدقيقة كاملة أو يزيد ، لم ينبس (نور) ببنت شفة ، وهو يجلس على الأرضية الباردة كالثلج ، ويدير عينيه فى وجوه الرهبان ، وفى أرجاء المعبد العريق ، وكل ذرة فى كيانه تتساءل ، عما إذا كان ما يراه من حوله حقيقة ، أم أنها صورة ذهنية أخرى ، أو ...

« إنها حقيقة .. » ..

دوى الجواب فى عقله ، فور سريان التساؤل فى أعماقه ، فشعر بقشعريرة باردة تسرى فى جسده ، وهو يقول فى خفوت :

ـ أين أنا بالضبط إذن ؟!

« فى معبد تبتى .. » ..

أتى الجواب إلى عقله أسرع مما ينبغى ، وبدت له الوجوه

كلها من حوله جامدة متشابهة ، حتى ليستحيل أن يدرك من منها يخاطبه بالضبط ، لذا فقد تنحنح ، محاولاً إزالة توتره ، وهو يتساءل فى حذر :

ـ أهو نفس المعبد ، الذى نشأ هو فيه ؟!

« لقد طوَّر قدراته فى مكان مماثل .. » ..

كم يدهشه هذا الأسلوب التخاطرى ، الذى يمنحه أجوبة واضحة جلية ، فور إلقائه السؤال ، وعلى نحو لايمكنه معه تحديد صوت أو هوية ..

فقط يأتى الجواب إلى عقله ..

وإلى أذنيه ..

وإلى كيانه كله ..

ولثوان أخرى ، لاذ بالصمت ، محاولاً ترتيب أفكاره ، قبل أن تنفرج شفتاه ؛ ليقول شيئًا ما ..

ثم لم يفعل ..

فكرة ما ، وثبت إلى ذهنه ، وجعلته يطبق شفتيه مرة أخرى ، ليتساءل عبر عقله وحده :

ـ وكيف أتيت إلى هنا ؟!

انساب الجواب إلى عقله هادئاً هذه المرة ..

« نحن أحضرناك إلى هنا .. » ..

أغلق عينيه فى استرخاء ، متسائلاً بعقله :

ـ ولماذا ؟!

قبل حتى أن يكتمل تساؤله ، برز الجواب فى أعماقه ..

« أنت الزعيم .. ونحن نحتاج إلى همزة وصل .. »

تساءل عقله ، فى حذر قلق :

ـ وما المقصود بهمزة وصل ؟!

« عقل جيد ، ننقل عبره موجاتنا ، من هنا إلى (مصر) ، ومنه إلى عقل خصمكم وخصمنا .. »

تضاعف قلقه ، وعقله يتساءل :

ـ وهل تعتقدون أن عقلى يصلح لهذا ؟!

« إنه يصلح بالتأكيد .. »

أدهشته تلك الثقة الشديدة ، فى الجواب الذى استقبله عقله ، فتساءل :

ـ وما الدليل على هذا ؟!

« ما فعلته بإرادتك الآن .. » ..

لوهلة ، لم يفهم ما يعنيه هذا ، ثم لم يلبث أن استوعب الموقف كله دفعة واحدة ..

نعم .. هو فعلها الآن ..

وبإرادته ..

شىء ما ، دفعه إلى أن يفعلها ..

أن يستخدم عقله ، بدلاً من لسانه ..

« غريزتك دفعتك إلى استخدام عقلك .. موروث جينى قديم ، فى أعماق خلايا مخك ، جعلك تدرك أنك قادر على هذا .. » ..

لم يكن هذا يحمل تفسيراً منطقياً للموقف ..

ولكن (نور) اكتفى به ..

اكتفى بما حمله من كلمات غير واضحة ..

وغير مباشرة ..

هذا لأن شيئاً ما ، فى أعمق أعماق عقله ، أو حتى أعمق أعماق كيانه ، أنبأه بأن ما فعله كان غريزياً بالفعل ..

شىء ما ، أخبره أنه قادر على هذا ..

قادر على التخاطب بعقله وحده ..

ولكنه ، وعلى الرغم من هذا ، تساءل فى اهتمام :

ـ ألا يستطيع البشر كلهم هذا ؟!

ألقى التساؤل بعقله ، وهو يدفع جسده كله إلى الاسترخاء ، فى مركز تلك الدائرة ، وشعر وكأن عقله قد تحرّر ، وانطلق ، على نحو لم يحدث بإرادته من قبل ..

« بدرجة أو بأخرى .. ولكن عقلك يختلف .. عقلك اعتاد استنفار كل طاقاته ، إذا ما حتمت الظروف هذا .. اعتاد الترتيب ، والتدبير ، والتنسيق .. اعتاد الاستنتاج ، والاستنباط والتحليل .. وككل أعضاء الجسم الأخرى ، كل شىء ينمو بالاستخدام ، ويضمر بالإهمال ، وأنت وضعت عقلك فى حالة من التدريب المستمر ، والنشاط المتواصل ، فنما ، وتطوّر ، وأصبح مؤهلاً لتفجير كافة طاقاته ، عندما تستلزم الأمور هذا .. »

استرخت حواسه كلها ، مع هذا التفسير الطويل ، وراح عقله يرتب الموقف كله كعادته ..

وينسّقه ..

ويحلّله ..

و ...

« أرأيت !! » ..

التقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة للحفاظ على استرخاء جسده ، وهو يتساءل ، من تلافيف مخه :

ـ وبمَ يمكن أن يفيد هذا ، فى مواجهتنا ، مع ذلك الخصم الرهيب ؟! كيف يمكن أن نستغل تلك التطورات فى عقلى ، لهزيمته ، أو تحجيمه ، أو السيطرة على وحشيته اللامحدودة ؟!

« لدينا وسيلة .. » ..

لم يرق هذا الجواب المقتضب لـ (نور) ، فتساءل فى سرعة :

ـ أية وسيلة ؟!

« إنه يستنفر كل قواه وطاقاته الآن ، للصراع مع رفيقكم (محمود) ، داخل الفراغ الزمنى المتفاعل ، وهذا لا يمنحه قدرة إضافية ، على السيطرة على الأمور هنا ، فى هذا العالم .. وهذا يمنحنا فرصة مثالية للانقضاض عليه .. »

خفق قلب (نور) فى قوة ، وهو يتساءل بعقله :

ـ أتعنى أن باستطاعتنا أن نشن هجومًا عليه الآن ، قبل أن يستعيد سيطرته على الأمور .

«ليس بهذه البساطة .. »

بدا الجواب محبطاً إلى حد ما ، فتساءل فى ضيق :

ـ كيف إذن ؟!

«إنه أقوى مما تتصور ، وقدرته على حماية نفسه تفوق قدراتنا مجتمعين ، كما أن عقله قادر على القفز إلى مستويات ، يستحيل أن يبلغها سواه ، لذا فحتى مع انشغاله بتلك المعركة ، خارج حدود الزمان والمكان ، مازال قادراً على حماية وجوده ، وإحاطة نفسه بكل ما يلزم ؛ لضمان البقاء ، واستعادة السيطرة عند اللزوم .. »

تضاعف شعور الإحباط فى أعماقه ، فكرّر فى مرارة :

ـ كيف إذن ؟!

«سنخبرك .. »

وعلى نحو عجيب ، ومع نهاية تلك الكلمة ، التى رددتها خلايا مخه الدفينة ، بدأ سيل من المعلومات ينساب إلى عقله ..

وينساب ..

وينساب ..

ومع جلسته الهادئة المسترخية ، أخذ عقله ينهل من فيض المعلومات ، ويستوعب ..

ويدرس ..

ويرتب ..

ثم شعر أخيراً بقوة عجيبة تسرى فى عروقه ..

فى عقله ..

فى كيانه كله ..

قوة المعرفة ..

والمعلومات ..

وبكل حماسه ، قال عقله :

ـ لو استطعنا تحقيق هذا ، ستنقلب الأمور كلها رأساً على عقب ..

«ولكن هذا يستلزم عودتك أولاً إلى هناك .. » ..

تساءل عقله فى قلق :

ـ هناك ؟!

«إلى (القاهرة) .. » ..

أراد أن يتساءل ، كيف يمكنهم إعادته إلى (القاهرة) ، وهو يجلس الآن ، فى أعماق جبال وثلوج (التبت) ..

ولكنه لم يفعل ..

شيء ما ، فى أعمق أعماقه ، جعله واثقاً من أنه باستطاعتهم هذا ..

لقد انتزعوه من ذلك الفراغ الزمنى المتعادل ، عبر الزمان والمكان ، وأتوا به إلى معبدهم ..

ولن يصعب عليهم نقله إلى (القاهرة) ..

كل ما عليه ، حسبما تلقى عقله ، هو أن يسترخى ..

ويسترخى ..

ويسترخى ..

أما هم ، فقد تركّزت أفكارهم عليه ، وانطلقت عقولهم نحوه ..

بكل قوتها ..

وكل طاقتها ..

وكل إرادتها ..

وأغلق (نور) عينيه ، وجلس صامتاً ، ساكناً ، و ...

وفجأة ، دوت فرقعة محدودة فى المكان ..

فرقعة أتت من مركز الدائرة بالضبط ..

وبعدها اختفى جسد (نور) ..

اختفى تماماً ..

* * *

تركّزت أفكار (سلوى) و(نشوى) بشدة ، وكلتاهما تمسك يدى الأخرى ، داخل ذلك الفراغ الزمنى المتعادل ، و(محمود) يشاركهما عقله وطاقته ؛ لتمتزج قوى ثلاثتهم ، و ...

وفجأة ، سيطرت على عقل (نشوى) صورة واحدة ..

كانت مغمضة العينين ، غارقة فى ظلام دامس ، وعلى الرغم من هذا ، فقد رأت تلك الفقاعة المظلمة المخيفة ، وهى تنحدر نحو (محمود) .. نحوه مباشرة ..

كانت الصورة واضحة جلية ، حتى إنها وجدت نفسها تهتف :

ـ احترس يا (محمود) ..

لم تتجاوز العبارة شفتيها ، ولكنها انطلقت فى أعمق أعماق مخها ..

ومن أعمق أعماق عقلها ..

انطلقت عبر تلك الشبكة ، التى صنعتها عقولهم المشتركة ، لتبلغ عقلى (سلوى) و(محمود) ..

كلاهما رأى الصورة نفسها ..

رأى الفقاعة المظلمة تتدحرج نحو (محمود) :

وثلاثتهم أدرك ما يعنيه هذا ..

وعلى الرغم من معرفتهم الواضحة ، وإدراكهم التام ، قال (محمود) فى حزم صارم ، عبر شبكة الاتصال العقلية :

ـ لا تباليا بما يحدث .. ركزا أفكاركما فحسب .. ركزاها على فكرة الخروج من هنا .. الخروج بأى ثمن ..

حاولت (سلوى) أن تلتزم بأوامره ..

حاولت ..

وحاولت ..

وحاولت ..

وكذلك فعلت (نشوى) ..

ولكن الفقاعة المظلمة كانت تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

لذا ، كان من الطبيعى أن تنهار تلك الشبكة العقلية ، مع ذلك الانفعال الجارف ..

الخوف ..

وفى آن واحد ، ودون اتفاق مسبق ، تركزت أفكار (سلوى) و(نشوى) على تلك الفقاعة المظلمة ..

وبكل توتره ، هتف (محمود) :

ـ لا .. لا تفعلا .

وفى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، انقضت عليه تلك الفقاعة الرهيبة المظلمة ..

بمنتهى العنف ..

ومنتهى الشراسة ..

ومع انقضاضتها ، التقطت (نشوى) إحدى يدى أمها ، صائحة :

ـ لا .

انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، مع صيحة (نشوى) ، وفتحت عينيها عن آخرهما ، وحدقت فى تلك الفقاعة الوحشية المظلمة ..

حدقت فيها لحظة واحدة ..

ثم انسحب جسدها فجأة ..

وبمنتهى العنف ..

وبكل قوتها ، تشبثت بيد (نشوى) ، التى أطلقت صرخة أخرى مذعورة ، وهى تشعر بجسدها ينسحب فى وحشية ، عبر الفراغ الزمنى المتعادل ..

كان شعوراً عجيباً عنيفاً ، يختلف تماماً عن المرة السابقة ، وجسداهما يندفعان فى اتجاه مبهم ، نحو شىء ما ، و ...

وفجأة ، ظهر (محمود) بينهما فى وضوح ..

وعندئذ .. عندئذ فقط ، أدركت (سلوى) و(نشوى) أين هما بالضبط ..

إنهما داخل تلك الفقاعة المخيفة ..

ثلاثتهم داخلها ..

وبكل رعب الدنيا ، هتفت (سلوى) :

ـ لقد ظفر بنا !

هتف (محمود) فى إصرار :

ـ ليس بعد .

صاحت (نشوى) :

ـ كيف ؟! إنه يبتلعنا بالفعل .

هتف (محمود) :

ـ إنه يحاول أن يبتلعنا .

صاحت (سلوى) :

ـ وما الذى يمنعه ، أو يمكن أن يمنعه ؟!

هتف بكل قوته :

ـ نحن .

على الرغم من إصراره وثقته ، شعرت (سلوى) و(نشوى) بأنهما تهويان فى أعماق سحيقة ..

سحيقة ..

سحيقة بلا قرار ..

وأن قوة هائلة تضغط على عقليهما ..

وتعتصر مخيهما ..

بلا توقُّف ..

وبلا رحمة ..

ولكن (محمود) هتف :

- قاوما .. قاوما خوفكما .. الخوف والانفعال هما سلاحه ، للسيطرة على عقولنا ومشاعرنا .

ارتجفت كل ذرة فى جسد (نشوى) ، وهى تهتف :

- نقاوم خوفنا ؟! كيف ؟!

مع آخر حروف كلماتها ، ظهر ذلك الوجه الرهيب فجأة ..

وجه خصمهم ..

ذلك الوجه ، الذى تغرق ملامحه فى ظلام مبهم ، فى حين تبدو جمجمته المشقوقة المزدوجة واضحة ، مع تلك التقطيبة السميكة ، فى منتصف الجبهة تمامًا ..

وهتف (محمود) بحزم أكثر :

- قاوما .

ولكن تلك العين الثالثة ، انفتحت فجأة ..

وتطلعت إلى ثلاثتهم مباشرة ..

وشهقت (سلوى) ، على الرغم منها ..

وانتفض جسد (نشوى) ..

وصرخ (محمود) :

- لاتساعداه على هزيمتنا .. إنه مجرّد وهم .. ماترياه مجرّد وهم .. وهم ..

مع صرخته ، تضاعف حجم الوجه الرهيب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتعاظمت تلك العين الثالثة المخيفة ، فى منتصف الجبهة ..

العين العمياء بصريًا ..

والحادة ذهنيًا ..

وعقليًا ..

ووحشيًا ..

ومع تعاظمها ، اتسعت عيون (سلوى) و(نشوى) بشدة ..

اتسعت بكل رعب الدنيا ..

وفى يأس مرير ، صاح (محمود) لآخر مرة :

- قاوما ..

كان يدرك أن صيحته لاقيمة لها ، وأن ذلك الخصم الرهيب

لمخيف قد نجح تمامًا ، فى السيطرة على الموقف هناك ، فى عالم الأرض ، وهنا أيضًا ، فى الفراغ الزمنى المتفاعل ..

وهو لايدرى كيف اكتسب هذه القوة المذهلة ..

كيف تجاوز كل حدود القوة ، وكل أسوار العقل ، وكل مستوى بلغه أى بشرى من قبل ..

وخصم كهذا ، تصبح هزيمته عسيرة ..

بل مستحيلة ..

مستحيلة تمامًا ..

ولكنه لن يستسلم ..

لن يسمح له بالتهام (سلوى) و(نشوى) والسيطرة على مقادير كوكب الأرض ..

لن يسمح له أبدًا ..

ومن حوله وحولهما ، بدأت الصورة تتشكّل ، وعاد يشعر بجسده ، الذى فقده منذ فترة طويلة ..

وبدأ الضوء يتسلّل إلى الظلمة الدامسة ..

وفى ذعر ، هتفت (سلوى) :

ـ أين نحن الآن ؟!

كانت تشعر وكأنها تلامس الأرض بقدميها بالفعل ، وأنها تقف داخل حجرة ما ، أو قاعة ما ..

قاعة يحيط بمعظمها ظلام عجيب مخيف ، لايبدّد أطرافه سوى ضوء باهت خافت ، لايكاد يكشف ذلك الجالس فى المنتصف ..

واختفت تلك العين الثالثة الرهيبة ، التى كانت تحتل الفراغ كله ، وتهيمن على المشاعر كلها ..

وغمغمت (نشوى) فى ارتياع :

ـ لقد جلبنا إلى مكمنه .

قال (محمود) فى حزم :

ـ وهم .. مجرّد وهم ..

سألته (نشوى) فى ارتياع ، وهى تحدّق فى ذلك الخصم ، الجالس القرفصاء فى صمت :

ـ وهم ؟! أأنت واثق ؟!

لم تكد تتم تساؤلها ، حتى فتح ذلك الخصم عينيه فجأة ..

وحدّقت العيون الثلاث فى وجهى (سلوى) و(نشوى) ..

ثم تألّقت ..

العيون الثلاث تألقت بغتة ، على نحو انتفض له جسد (سلوى) ، وتجمد معه جسد (نشوى) ، و ...

« لا .. لن تفعلها أيها الوغد .. »

انطلقت صرخة (محمود) بغتة ، ورآه (سلوى) و(نشوى) ، فى الصورة الوهمية المحيطة بهما ، وهو يندفع نحو تلك الخصم ، الجالس القرفصاء ، ثم ينقضّ عليه بمنتهى العنف ..

واستدارت عيون الخصم الثلاث إليه ..

وتألقت أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولكن (محمود) وثب نحوه ..

وغاص فى جسده ..

نعم .. غاصت ذرات جسده الوهمى ، فى صورة الخصم الرهيب ، كما لو أنهما صورتان هولوجراميتان تمتزجان فى الهواء ..

وصرخت (سلوى) ..

وشهقت (نشوى) ..

وتألقت عيون الخصم الرهيب ..

وتألقت ..

وتألقت ..

ثم انطلقت فى الفراغ الزمنى المتعادل صرخة ..

صرخة حملت كل ألم ، وعذاب ، وذعر الدنيا كله ..

صرخة حملت صوت (محمود) ..

وعلى الرغم من أن جسده قد ذاب تمامًا ، داخل جسد خصمه ، أدركت (سلوى) و(نشوى) أنه يتعذّب ..

ويتعذّب بشدة ..

وهذا يعنى أن الخصم قد انتصر ، فى معركة العقول ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل ..

انتصر انتصارًا ساحقًا ..

للغاية ..

* * *

٧ـ الانطلاقة ..

انهمرت الدموع من عينى (مشيرة) فى غزارة ، وهى تقف أمام الدكتور (جلال) ، فى أحد المقار الاحتياطية للمخابرات العلمية المصرية ، وتلوّح بكفيها ، قائلة :

ـ لست أدرى أين ذهب (أكرم) بالضبط .. كل ما قاله هو أنه سيفعل هذا من أجلى .

سألها الدكتور (جلال) فى لهفة متوترة :

ـ سيفعل ماذا ؟!

بكت فى حرارة أكثر ، مجيبة :

ـ سيظفر به .

ردّد الدكتور (جلال) مبهوتًا :

ـ يظفر به ؟! بمن .

لوّحت بكفيها فى الهواء ، محاولة البحث عن جواب ما ، ثم لم تلبث أن هتفت فى عصبية :

ـ به ؟!

لم يكن الدكتور (جلال) بحاجة فعلية إلى الجواب ، إلا إنه ، وعلى الرغم من هذا ، لم يكد يسمع ما قالته ، حتى تراجع بحركة حادة ، وامتقع وجهه بشدة ، وهو يكرّر :

ـ به ؟! يا إلهى ! يا إلهى !

ثم أمسك ذراعيها فجأة ، صائحًا :

ـ ولكن كيف سيفعل هذا ؟! وأين ؟!

هزّت رأسها فى قوة ، هاتفة :

ـ لست أدرى .. لست أدرى .

تراجع الدكتور (جلال) فى توتر بالغ ، ولكن أحد رجال الأمن اتجه نحوه ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، قائلاً :

ـ تقرير تتبّع السيّد (أكرم) يا سيّدى .

التفت إليه الدكتور (جلال) فى لهفة ، فى حين هتفت (مشيرة) :

ـ هل عثرتم عليه ؟!

أجاب رجل الأمن فى سرعة :

ـ لقد انطلق بسيارته إلى منزله ، وقضى هناك بضع دقائق ، ثم انطلق بعدها إلى جهة مجهولة .

سأله الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ ما الذى تعنيه بجهة مجهولة ؟! (أكرم) يقود سيارة عتيقة الطراز ، سهل تعقبها ورؤيتها ، أيًا كان موقعها ، والمفترض أن حوّامات المراقبة يمكنها رصدها ، حتى ولو أخفاها أسفل جبل هائل !

أجابه رجل الأمن :

ـ السيارة تم العثور عليها يا سيدى ..

هتفت (مشيرة) فى انزعاج :

ـ ماذا إذن ؟!

أجابها الرجل فى سرعة :

ـ لم يكن السيد (أكرم) داخلها .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، فى حين امتقع وجه (مشيرة) فى شدة ، وهى تقول :

ـ أين هو إذن ؟!

هزّ الرجل رأسه فى توتر بالغ ، قائلاً :

ـ لا أحد يدرى .

شعرت (مشيرة) بساقيها تعجزان عن حملها ، فتركت جسدها يسقط على المقعد الوثير خلفها ، وعادت تبكى فى عنف ، فى حين قال الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟! إنه لم يختف .. أليس كذلك ؟!

ظل رجل الأمن صامتًا ، معلنًا بأسلوب سلبى ، أنه لايمتلك جوابًا ، و ....

وفجأة دوت تلك الفرقعة المكتومة فى المكان ..

دوت فجأة ، مصحوبة بضوء ساطع ، ورياح قوية ، هبّت فى وجوه الجميع ، الذين أغلقوا عيونهم لحظة ، ثم عادوا يفتحونها فى توتر ، و ....

« (نور) ؟! »

هتف الدكتور (جلال) بالاسم فى ذهول ، وهو يحدّق فى (نور) ، الذى ظهر فجأة ، وسط أكثر قاعات المبنى الاحتياطى أمنًا ، وانتفضت (مشيرة) على مقعدها ، وهى تحدّق فيه بدورها ، وكذلك فعل رجال الأمن الداخلين ، فى حين بدا (نور) وكأن ظهوره المفاجئ هذا لايستوقفه لحظة واحدة ، أو كأنه اعتاد مثل هذه الأمور ، وهو يتحرك فى سرعة ، قائلاً بلهجة حازمة آمرة :

- دكتور (جلال) .. أحتاج إلى بعض المعاونة الفنية العاجلة .

هتف به الدكتور (جلال) :

- رباه ! إنه أنت بالفعل يا (نور) .. أين كنت ؟! أين كنتم جميعاً ؟! وأين الباقين ؟!

أجابه (نور) ، وهو يجذبه من ذراعه فى قوة :

- لا وقت للشرح الآن يا دكتور (جلال) .. سأخبرك كل شىء ، عندما تستقر الأمور .. لابد أن نتحرك فوراً ، وبأقصى سرعة ، قبل أن نفقد هذه الفرصة النادرة .

صاح الدكتور (جلال) :

- أية فرصة يا (نور) ؟!

أجابه (نور) بمنتهى الحزم والصرامة :

- الوقت يا دكتور (جلال) .. الوقت .

هتفت به (مشيرة) ، وهما يغادران الحجرة :

- (أكرم) اختفى يا (نور) .. لا أحد يعلم أين هو .

أجابها فى حزم ، قبل أن يختفى مع الدكتور (جلال) ، فى نهاية الممر المقابل للقاعة :

- اطمئنى يا (مشيرة) .. كل شىء سيصبح على ما يرام بإذن الله .. كل شىء .

لم تدرك ما الذى يعنيه بقوله هذا بالضبط ، لذا فقد تراجعت فى مقعدها ، متمتمة :

- (أكرم) يا (نور) .

أما الدكتور (جلال) ، فقد هتف به ، وهو يعود إلى جواره ، عبر الممر الطويل :

- هل تعرف أين الباقون ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- ما زالوا هناك ؟!

هتف الدكتور (جلال) :

- هناك أين ؟!

أجاب (نور) ، فى اقتضاب حازم صارم :

- حيث كنا جميعاً .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، وهو يهتف فى ارتياع :

- ربما ! ما زالوا هناك ؟! ألا يقلقك هذا ؟!

توقف (نور) بغتة، واستدار يمسك كتفى الدكتور (جلال) فى قوة، وهو يقول فى صرامة شديدة:

ـ اسمعنى جيدًا يا دكتور (جلال).. كلنا خبر خصمنا، ويدرك مدى خطورته ووحشيته، ورغبته المستميتة فى السيطرة على الأرض كلها، بكل ما عليها، ومن عليها، وفى الظروف العادية، لن يمكننا هزيمة خصم مثله أبدًا، ولكن لدينا الآن فرصة نادرة، لن تستمر سوى عدة دقائق، نشغل خلالها ذلك الخصم الرهيب، فى مد سيطرته إلى حدود جديدة، خارج الزمان والمكان، ونستنفد فى سبيل هذا، كل طاقاته وقدراته، بحيث لم يعد باستطاعته رصدنا، أو تحجيمنا لبعض الوقت، فإما أن نضرب ضربتنا الآن، أو نخسر معركتنا إلى الأبد، لذا، دعنا لا نضيع ثانية واحدة، إذ قد يكون ثمن هذه الثانية، هو عمر الأرض كله.

حدّق فيه الدكتور (جلال) فى ذهول، وغمغم:

ـ كيف عرفت كل هذا يا (نور)؟!

واصل (نور) اندفاعه، عبر الممر الطويل، وهو يقول فى حزم صارم قاس:

ـ فيما بعد يا دكتور (جلال).. فيما بعد.

لحق به الدكتور (جلال)، وهما يتجهان إلى منطقة الأبحاث التجريبية، وهتف فى توتر:

ـ لابد أن نبلغ القائد الأعلى، وسيادة رئيس الجمهورية، و....

هتف به (نور):

ـ فيما بعد يا دكتور (جلال).. سنستغل كل ثانية أولاً، وبعدها نقوم بكل الإجراءات الرسمية.

سأله الدكتور (جلال)، عندما بلغا المكان:

ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط يا (نور)؟!

أجابه (نور) فى سرعة، وهو يندفع داخل قاعة التجارب:

ـ أريد جهاز رسم مخ إليكترونى، وخبير من خبراء البث والاتصالات.

سأله الدكتور (جلال) فى حيرة، وهو يتبعه داخل القاعة:

ـ ولماذا؟!

أشار إلى رأسه ، مجيبًا فى حزم :

ـ أريد أن أصنع من عقلى محطة .

توقف الدكتور (جلال) ، هاتفًا فى دهشة :

ـ محطة ؟!

أجاب (نور) ، بكل الحزم والحسم :

ـ نعم يا دكتور (جلال) .. محطة استقبال .. وبث .

وهنا ، اتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ..

فهذه المعلومة كانت تفوق قدرته على الاحتمال ..

ألف مرة ..

* * *

بكل الخبرة ، والخفة ، والمهارة ، التى اكتسبها (أكرم) طوال حياته القاسية ، عبر سنوات صباه الخشنة ، ومن خلال تدريباته القوية المكثفة ، منذ التحاقه بالمخابرات العلمية المصرية ، تسلل إلى ذلك الحى الراقى ، الذى شن رجال الصاعقة حربًا طاحنة فيه ، تحت تأثير السيطرة العقلية الرهيبة ، لذلك الخصم الوحشى ..

وفى براعة مدهشة ، تجاوز كل نطاقات الأمن ، حتى بلغ ذلك الوكر الصغير ، الذى فتشه رجال الأمن جيدًا ، قبل أن يؤكدوا خلوه التام ، وتوقف عنده ، يغمغم :

ـ أعلم أنك هنا أيها الوغد .

جذب مشطى مسدسيه ، وأعادهما مرة أخرى إلى حزامه ، ثم تأكد من وجود حزام القنابل اليدوية حول وسطه ، قبل أن يجذب إبرة مدفعه الآلى القصير ، مكملاً :

ـ ربما أمكنك أن تخدع الجميع ، ولكنك لن تخدعنى أنا ..

ألصق ظهره بجدار المنزل الصغير ، ثم انحنى فى خفة ، وتسلل إلى مدخله ، وهو يتابع :

ـ هم لن يفهموا أسلوبك ؛ لأنهم عقلانيون علميون .. أما أنا وأنت ، فكلانا همجى وحشى ، عانى كثيرًا من المجتمع ، وتعلم كيف يتعامل معه .. كلانا يفهم بعضنا البعض ، ونعرف كيف تسير الأمور فى العالم السفلى ..

والتقط نفسًا عميقًا ، ليتمتم :

ـ وكلانا نعلم أنك هنا .

كان واثقًا من أن خصمه لم يغادر مكمنه ..

لم يغادره أبدًا ..

حتى عندما تسلل رجال الأمن إليه ..

وفحصوه ..

وفتشوه ..

وحتى عندما أضاءوه ..

فكل ضوء الدنيا ، لن يبدد تلك الظلمة ، التى يحيط بها نفسه ..

أو ذلك الظلام ، الذى ارتجفت له قلوب الجميع ..

وهذا – فى رأيه – هو الدليل الأكيد على وجوده ..

إنها لعبة شوارع يحفظها جيدًا ..

اتركهم يفحصون مخبأك ، بكل سبيل متاح ، ثم استقر فيه ، بعد أن يرحلوا عنه ..

لذا فهو واثق من أنه هنا ..

فى مكان ما هنا ..

أمسك مدفعه الآلى الصغير بكل قوته ، وتحرك بحذر بالغ ، داخل ذلك المنزل الصغير ، الخالى تمامًا من الأثاث ..

كان الضوء خافتًا بشدة ..

والظلام مخيفًا بحق ..

ولكن (أكرم) وضع على عينه منظارًا خاصًا للرؤية الليلية ..

منظارًا بسيطًا ، مباشرًا ، لايحوى أية تطورات تكنولوجية فائقة ..

منظارًا من ذلك الطراز ، الذى تم استخدامه فى حروب السنوات الأخيرة ، من القرن العشرين ..

وفى بطء شديد الحذر ، أدار عينيه فى المكان كله ، قبل أن يتوقف عند حجرة واسعة ، مواجهة للباب تمامًا ..

حجرة شديدة الإظلام ، حتى إن منظار الرؤية الليلية لم يكشف ظلمتها أو يبددها ..

ولولا المنظار ، لبرقت عينا (أكرم) ، وهو يتمتم فى خفوت شديد :

– أنت هنا أيها الوغد .

تساءل فى أعماقه ، وهو يتحرك نحو تلك الحجرة ، فى حذر بالغ ، لماذا سمح له بالدخول ..

والاختراق ..

والاقتراب ..

كيف تركه يبلغ هذا القدر ، دون أن ينطلق للسيطرة على عقله ؟!

أو حتى لتدميره ..

أو سحقه سحقًا ..

كيف ؟!

كيف ؟!

بل ولماذا أيضًا ؟!

حتى التساؤل ، لم يسمح له بالسيطرة على عقله ، فى تلك اللحظات شديدة الحساسية ، بل بذل جهدًا خرافيًا ، ليوحّد ذهنه كله ، فى فكرة واحدة ..

(مشيرة) ..

حتمية إنقاذ (مشيرة) ..

وبأى ثمن ..

أى ثمن ..

وبكل الحذر والتحفز ، أمسك مدفعه الآلى القصير ، واقترب من تلك الحجرة ..

واقترب ..

واقترب ..

وعلى الرغم من اقترابه ، لم تتبدد ظلمتها ..

ولم يكشف منظار الرؤية الليلية أعماقها ..

أبدًا ..

وعند باب الحجرة ، توقف (أكرم) ، ودار بعينيه داخلها ، قبل أن يتمتم فى عصبية :

ـ أنت هنا أيها الوغد .

كل شىء ظلّ صامتًا ساكنًا ، بعد أن نطق عبارته هذه ، فكرّر بصوت مرتفع نسبيًا :

ـ أنت هنا .

جاوبه نفس الصمت والسكون ، فازدرد لعابه فى توتر ، وبدأ الشك يراوده فى قراره ، وراح قلبه يخفق فى شىء من القوة ، و ...

ولكن كلاّ ..

بكل قوته وإرادته وإصراره ، نفض كل المشاعر والانفعالات عن نفسه ، وشدّ قامته فى قوة واعتداد ، قائلاً :

ـ لست أخشاك .

خيّل إليه أن زمجرة خافتة للغاية ، قد ترددت فى الحجرة المظلمة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهتف بملء فيه :

ـ لست أخافك .

بدا له كأن بقعة مظلمة ، داخل الحجرة ، قد تحركت على نحو عجيب ، فاندفعت من أحد جانبيها إلى الجانب الآخر ، ثم انقضت عليه ، و ...

وعبرته ..

نعم .. عبرته ، كما لو أن جبلاً من ثلوج القطب الجنوبى ، قد مرّ خلال جسده ، وأرسل فى أوصاله رجفة باردة ..

باردة إلى أقصى حد ..

رجفة مرّت بقلبه ، وحوّلته لحظة إلى قطعة من الجليد ، فصاح بكل طاقة التحدّى فى أعماقه :

ـ لست أخشاك .. أنت لا تساوى شيئًا .. هل تفهم ؟! لا تساوى شيئًا .

كان يمسك مدفعه الآلى الصغير بكل قوته ، وعيناه تدوران فى الحجرة بسرعة ، محاولاً تتبُّع تلك البقعة المظلمة ..

كان غاضبًا ..

متوترًا ..

ساخطًا ..

ولكنه لم يكن خائفًا ..

لم يكن كذلك أبدًا ..

غضبه وثورته على كل ما حدث ، وكل ما أصاب زوجته ، وما أريق من دماء بريئة ، سيطر على كل مشاعره ، وأزاح عنها كل شعور آخر ، أيًا كان ..

ولكن صرخته القوية ، أطلقت زمجرة أخرى ، داخل الحجرة المظلمة ..

زمجرة مسموعة هذه المرة ، انطلقت من تلك البقعة المظلمة ، التى تجمّعت فى منتصف الحجرة ..

حتى تلك الزمجرة ، ذات الإيقاع الوحشى الرهيب ، لم تنجح فى تفجير الخوف فى أعماقه ..

كل ما فجّرته هو المزيد والمزيد من الغضب ..

والمزيد والمزيد من الثورة ..

لذا ، فقد صاح بكل قوته ، وهو يصوّب مدفعه الآلى القصير ، نحو تلك البقعة المظلمة :

ـ فليكن أيها الوغد .. دعنا نر كيف سيستقبل مخك المزدوج رصاصات مدفعى .

نطقها بكل الحزم ، والعزم ، و...

ولكن فجأة ، تبدّت تلك البقعة المظلمة ..

تبدّت بضوء خافت باهت مباغت ..

وظهر جسد بشرى ، يجلس القرفصاء ، ويتطلّع إلى (أكرم) مباشرة ..

وهنا .. هنا فقط ، انتفض جسد (أكرم) فى عنف ..

فذلك الجسد ، الذى ظهر فى موقع البقعة المظلمة ، لم يكن جسد ذلك الخصم الرهيب ، أو وجهه ذا الجمجمة المشقوقة ، والعين الثالثة ، فى منتصف الجبهة ..

بل كان جسدًا آخر ..

ووجهًا آخر ..

جسد ووجه آخر شخص ، يتوقّع (أكرم) رؤيته ، فى هذا المكان ، أو هذه اللحظة ..

(مشيرة) ..

زوجته (مشيرة) ..

* * *

« إننا لا نخافك .. »

فجأة ، ترددت الكلمات فى هدوء شديد ، وصوت حازم عميق ، وسط الفراغ الزمنى المتغافل ، على الرغم من الصورة الوهمية المخيفة ، التى تحيط بـ (سلوى) و(نشوى) ..

ومع العبارة تبدّدت فجأة الصورة الوهمية ، وعاد الظلام يحيط بكل شىء ، إلا من ضوء باهت للغاية ، يغلّف الأجساد ، ويميّزها من وسط الظلمة ..

وبكل دهشة الدنيا ، هتفت (نشوى) :

ـ (رمزى) ..

أشار إليها زوجها (رمزى) بالصمت ، وهو يقول ، بمنتهى الحزم والهدوء ، وبذلك الصوت الدافئ العميق :

ـ أنا وأنت لا نخشاه يا (محمود) .. لا تسمح له بالسيطرة على عقلك وهزيمته .. لا تسمح له أبدًا .

هتفت (سلوى) في توتر :

ـ رباه ! هل تعتقد يا (رمزى) أنه ؟!

استوقفها (رمزى) بإشارة من يده ، وهو يمد يده إليها ، ويلتقط أصابعها بيمناه ، ثم يلتقط أصابع (نشوى) بيسراه ..

وفهمت المرأتان المطلوب على الفور ..

ودون كلمة واحدة ، تشابكت أصابعها ..

وصنعت الأجساد الثلاثة دائرة صغيرة ..

ومع تكوّن الدائرة ، انبعث صوت (محمود) مرة أخرى ..

انبعث بصرخة تحمل كل ألم وعذاب الدنيا ..

وانخلع قلبا (سلوى) و(نشوى) ، ولكن (رمزى) قال ، بنفس الصوت الدافئ العميق :

ـ نحن نعلم أن خوفنا هو سبيلك إلينا .. لذا فنحن لا نخافك ولا نخشاك .

انطلقت صرخة عذاب أخرى ، من أعماق الظلمة الدامسة ، تحمل صوت (محمود) ، فتابع (رمزى) بنفس اللهجة :

ـ كل محاولاتك لن تُجدى نفعًا ؛ لأننا نعلم أن قدراتك هنا محدودة ، وأن بلوغ هذا الفراغ الزمنى المتعادل ، يستنزف كل قواك وطاقاتك ، حتى إنه ليس باستطاعتك أن تؤذينا ، هنا أو هناك ، ما لم نمنحك نحن طاقة سلبية كافية ، بخوفنا منك ، أو خشيتنا من قواك .

حدقت (سلوى) في وجه (رمزى) ، هاتفة في انبهار :

ـ أحقًا ما تقول ؟!

أما (نشوى) ، فقد انعقد حاجباها ، وهى تقول في حزم :

ـ إنه تحليل منطقى .. منطقى للغاية .

أغلق (رمزى) عينيه ، قائلاً ، دون أن يفارقه صوته الدافئ العميق :

ـ لهذا لن نخافك .. ولن نخشاك .. ولن نمنحك الطاقة اللازمة للسيطرة علينا أبدًا .

أدركت (سلوى) و(نشوى) ما يرمى إليه بالضبط ، فأغلقتا عيونهما بدوريهما ، وركزتا أفكارهما مع أفكار (رمزى) حول نقطة واحدة ..

لا خوف ..

لا مبرِّر للخوف ..

خصمهم ارتكب أكبر خطأ فى حياته ، عندما قرَّر أن يتجاوز حدود الزمان والمكان ، للقضاء على (محمود) ، الذى تصوَّر أنه أخطر من يواجهه ، لوجوده فى الفراغ الزمنى المتعادل ، الذى يمنحه القدرة على رؤية الأمور من زاوية أكثر اتساعًا ..

وأكثر وضوحًا ..

ولأن عبوره هذا الحاجز الزمكانى الخطير ، استنزف قواه ، واستنفدها إلى حد كبير ..

صار من الممكن مواجهته ..

وتحديه ..

ونحره ..

ليس فى الفراغ الزمنى المتعادل وحده ، ولكن على الأرض أيضًا ..

كل المطلوب هو القضاء على الخوف ..

القضاء على الطاقة السلبية ، التى يلتهمها هو ، ليضاعف من قوته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعلى الرغم من صرخة (محمود) الجديدة ، التى ترددت فى الفراغ الزمنى المتعادل ، على نحو متصل غير محدود ، استرخى جسدا (سلوى) و(نشوى) ، وتآزر عقلاهما مع عقل (رمزى) ..

وراح الخوف ينزاح من أعماق ثلاثتهم ..

وينحسر ..

وينحسر ..

وينحسر ..

ومع انحساره ، لم تنطلق صرخة جديدة فى الفراغ ..

ولم يقفز ذلك الوجه المخيف إلى أذهانهم ..

بل ، على العكس تمامًا ، كانت هناك صورة أخرى تتكوَّن ..

صورة جميلة ..

ومبهجة ..

(نشوى) راحت ترى صغيرها ، وهو يلهو بلعبه ، فى حديقة منزلها ، وشاركها (رمزى) تلك الصورة الذهنية الرقيقة ..

و(سلوى) صنعت إطارًا عائليًا بديعًا ، يضمها مع (نور) ، و(نشوى) ، و(طارق) الصغير ..

ومن ثلاثتهم ، تلاشت تلك الطاقة السلبية ، وحلت محلها تدريجيًا طاقة إيجابية رائعة ..

وعبر الفراغ ، دوت زمجرة وحشية رهيبة ..

ولكنها لم تنجح فى انتزاعهم من خيالهم ..

أو انتزاعه منهم ..

وفى نعومة مدهشة ، شعروا بـ (محمود) ينضمّ إليهم ..

شعروا بعقله يتآزر مع عقولهم ..

وطاقته تمتزج بطاقتهم ..

ودون أن يفتحوا عيونهم ، أدركوا أنه بينهم ..

وأنه قد نجا ..

وعاد ..

ومرة أخرى ، انطلقت تلك الزمجرة الوحشية الرهيبة ..

انطلقت أكثر غضبًا ..

أكثر عنفًا ..

وأكثر شراسة ..

فذلك الخصم الرهيب كان يمر بأكثر لحظات حياته غضبًا ..

لقد صنع ما يعجز عنه رهبان (التبت) أنفسهم ، وتجاوز حدود الزمان والمكان ، دون أن يتخلّى تمامًا عن سيطرته الأرضية ..

وذلك ليحقّق هدفًا واحدًا ..

هدفًا بدا له أساسيًا ؛ لتسيير خطته وفقًا لما قدّره لها مسبقًا ، وما درسه ألف مرة ، طوال عقدين من الزمان ..

ففى كل مرة ، أعاد فيها دراسة خطته ، لم يضع فى اعتباره قط ، ذلك القابع فى الفراغ الزمنى المتعادل ..

بل ولم يتصوّر لحظة واحدة ، أنه من الممكن أن يكون هناك شخص ما ، أو حتى شىء ما ، يمكنه التقاط موجات مخه الفائقة القصر ..

هذا فقط ، لم يضعه فى اعتباره قط ..

ولكن كل شىء بدأ بداية مرهقة ، مع تجربة ذلك الاختراع الجديد القادر على التقاط موجاته العقلية الفائقة ..

وحتى عندما تجاوز هذه النقطة ، ونجح فى تدمير الجهاز ، ومنع بث الموجة المضادة ، بقى (محمود) كشوكة مؤلمة ، فى ظهر خطته ..

شوكة كشفت طبيعته ..

وهويته ..

ونقطة ضعفه الوحيدة ..

وكان من المحتم أن يقضى عليه ..

وبأى ثمن ..

لهذا جازف بما فعله ..

جازف بإطلاق كل طاقاته ، ليثب عبر الزمان والمكان ..

ويظفر به ..

وكان من الممكن أن يفعل هذا ..

وأن يعود ..

وينتصر ..

ولكن أولئك الرهبان ، فى أعمق أعماق (التبت) ، أبوا أن يتركوه وشأنه ..

لقد طاردوه ..

وتآزروا ضده ..

ومنحوا خصومه قوة إضافية كبيرة ..

والآن ، فى هذه اللحظة بالذات ، أصبح موقفه شديد التوتر والحساسية ..

والخطورة أيضًا ..

فعلى الأرض ، وعلى الرغم مما تركه خلفه هناك ، من قوة كافية لحجب وجوده ، وحماية جسده وعقله ، نجح عضو الفريق الهندى فى كشف أمره ، وسبر أغوار خدعته ..

وهنا ، فى الفراغ الزمنى المتعادل ، تآزر الكل ضده ، ويحاولون تحطيم إرادته ، وهزيمة سيطرته العقلية تمامًا ..

وهو لن يسمح بحدوث هذا أبدًا ..

لا يمكن أن يسمح بحدوثه ، مهما كانت الأسباب ..

لقد تحدوه ..

وعليهم أن يدفعوا الثمن ..

سيواجههم بكل قواه وقدراته ..

سينقض عليهم بعقله ..

ويضربهم بقواه ..

ويدحرهم ..

بل سيسحقهم سحقًا ..

على الأرض ، سيربك عضو الفريق البدائى ، ويقهر مشاعره ، ويحطِّم إرادته ؛ حتى يبقيه فى حالة سلبية ، إلى أن ينتهى من مهمته ؛ فى الفراغ الزمنى المتعادل ..

المهمة التى تحتاج منه إلى كل قوته ..

وكل طاقته ..

وكل رغبته فى الانتقام من الجنس البشرى كله ..

كانت الطاقة الإيجابية ، التى تنطلق من عقول أفراد الفريق ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل تتضاعف فى كل لحظة ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

لذا ، فقد استنفر هو كل قوته ، وكل خبراته ، وكل الطاقة السلبية الوحشية فى أعماقه ..

وأطلق عقله داخل الفراغ ..

أطلقه بلا حدود ..

وعلى الرغم من قوتهم ، وطاقتهم الإيجابية ، شعر أفراد الفريق بأجسادهم ترتج فى قوة ..

وبعقولهم تتزلزل فى عنف ..

وعلى نحو عجيب ، راح (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) يلهثون ..

يلهثون فى انفعال جارف ، وقلوبهم تخفق بقوة ..

بمنتهى القوة ..

وفى البداية ، تصور (رمزى) أن خفقان قلوبهم يرتبط بانفعالهم فحسب ..

ولكن سرعة خفقان القلب راحت تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

وعندئذ ، أدرك (رمزى) ما الذى يحاول ذلك الوغد فعله بالضبط ..

لقد أطلق قلوبهم فى سباق وهمى رهيب ..

سباق ستتسارع فيه دقات قلوبهم ، حتى تبلغ حداً لا يمكن أن تحتمله القلوب نفسها ..

وعندئذ ستنهار تماماً ..

وهذا بالضبط ما يسعى إليه الخصم الرهيب ..

أن يقتلهم بسكتة قلبية إجهادية ..

يقتلهم هناك ..

فى الفراغ الزمنى ..

اللانهائى ..

* * *

٨ـ الختام ..

« أأنت مستعد يا سيادة المقدّم ؟! »

نطق خبير الاتصالات العبارة فى توتر ، وهو يراجع أجهزته للمرة الثالثة ، فأجاب (نور) بمنتهى الحزم ، وهو يرقد على منضدة خاصة ، وقد اتصلت عدة أسلاك إليكترونية دقيقة برأسه :

ـ تمام الاستعداد .

بدا التوتر واضحاً ، فى صوت ولهجة وملامح الدكتور (جلال) ، وهو يسأل خبير الاتصالات :

ـ أأنت واثق من أن الموقف آمن ؟!

هزّ خبير الاتصالات رأسه نفياً ، وأجاب بنفس التوتر :

ـ لست أدرى .. لم أفعل شيئاً مماثلاً من قبل .

تساءل الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ هل تعنى أنه من المحتمل أن ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ ابدأ عملك يا رجل ، ولا تضع ثانية واحدة .. هيا .

أدار خبير الاتصالات عينيه إلى الدكتور (جلال) ، الذى تردَّد لحظة ، فهتف به (نور) فى غضب :

ـ لا تتردد يا دكتور (جلال) .. مصير الأرض كلها قد يتوقَّف على ثانية واحدة .

انتفض الدكتور (جلال) من هول المسئولية ، وهتف بخبير الاتصالات فى حدة :

ـ ماذا تنتظر يا رجل ؟! هيا ..

ضغط خبير الاتصالات زر التشغيل ، قبل حتى أن يكتمل هتاف الدكتور (جلال) ، و ..

وانطلق الجهاز يعمل ..

« الاتصال ناجح .. »

تلقى (نور) تلك العبارة العقلية ، فور عمل الجهاز ، فأغلق عينيه ، ودفع جسده كله إلى الاسترخاء ، وهو يقول ، دون أن يفتح شفتيه :

ـ على بركة الله ..

شعر بقوة عقلية هائلة ، تنساب عبر خلايا مخه ..

قوة لم يشعر بمثلها ، فى حياته كلها ..

فيض من القوة ، تسلَّل إلى خلايا مخه ، وهيمن عليها تمامًا ، قبل أن يعاود الانطلاق نحو هدفه ..

نحو ذلك الخصم الرهيب ..

وعلى الرغم من استرخاء جسده ، كان عقل (نور) ينطلق بلا حدود ..

ولكن فى اتجاه آخر ..

كان يحاول البحث عن أجوبة بالغة الخطورة ، فى هذه اللحظات الأخيرة ..

أجوبة لعشرات الأسئلة ، وعلى رأسها سؤال مهم جدًّا ..

تُرى هل سيفلح هذا ؟!

هل سينجح رهبان (التبت) ، فى استخدام عقله ، كمحطة بث أرضية ، لتركيز أفكارهم كلها على الهدف ؟!

على ذلك الخصم الرهيب ؟!

هل ؟!

أهناك بالفعل وسيلة لهزيمته ، بعد كل ما أثبته ، عن قواه الخارقة الجبَّارة ، اللامحدودة ؟!

هل توجد وسيلة واحدة لهزيمته ؟!

وفقاً لخطتهم ، التى زرعوها فى عقله ، سيكفى هجوم مركّز عنيف ، يشنّ من كل الجبهات فى آنٍ واحد ، فى تلك الظروف ، التى فقد هو فيها تركيزه ، وشتّت خلالها قواه ؛ لتحطيم إرادته دفعة واحدة ..

وهذا قد يصيب عقله المزدوج بصدمة ..

صدمة عنيفة للغاية ..

لذا فقد أجرى الرهبان اتصالهم بعقل (رمزى) ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل ، وأبلغوه كيفية تشتيت عقل ذلك الخصم الرهيب ..

وأعادوه هو إلى هنا ..

أعادوه ليصبح وسيلتهم ، فى تركيز أفكارهم ، وتجنيد طاقاتهم العقلية والهجوم على خصمهم بالقوة الكافية ..

وكل ما يتمناه ، فى هذه اللحظة ، هو أن تنجح الخطة ..

وأن تستعيد الأرض أمنها ..

وحريتها ..

واستقرارها ..

وأن يستعيد هو فريقه ..

زوجته ..

وابنته ..

و (رمزى) ..

و (أكرم) ..

توقّفت أفكاره كلها عند الاسم الأخير ، ليتساءل فى قلق شديد : ترى أين هو ؟!

أين (أكرم) ؟!

لماذا لم تتضمّنه خطتهم ؟!

لماذا لم يكن له دور مباشر فيها ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كانت تلك القوة العقلية تنساب عبر عقله ، على نحو متصل ، يجبر جسده على الاسترخاء التام ، عندما تفجّرت تلك الرسالة المخيفة فجأة فى ذهنه ، دون مقدمات ..

« إنه أقوى مما كنا نتصوّر .. »

خفق قلبه بين ضلوعه فى عنف ، وعقله يهتف :

ـ ماذا يعنى هذا ؟! ألم يمكنكم هزيمته ؟!

« لن يمكننا تحقيق ما تصوّرناه .. »

كاد يصرخ فى ارتياع ، ولكن جسده المسترخى منع لسانه من الحركة ، فهتف بعقله :

ـ أى قول هذا ؟! لقد راهنت بكل حياة رفاقى ، ومستقبل الأرض كلها ، على قدرتكم المشتركة هذه .

« إننا نبذل قصارى جهدنا .. »

هتف عقله فى مرارة :

ـ هذا لا يكفى ..

« إنه يقاوم فى استماتة .. »

وارتجفت كل خلية ، فى جسد (نور) ..

ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

هل سيخسر معركته الأخيرة ، التى بذل فى سبيلها كل شىء ؟!

لا ..

مستحيل !

مستحيل ، وألف مستحيل !

ربما فشل الرهبان فى معركتهم ..

ولكنه لن يستسلم ..

لن يستسلم أبدًا ..

وبإرادة فولاذية ، اعتصر كل خلية فى مخه ، وأطلق عقله ..

أطلقه عبر جهاز الاتصال ..

وبكل قوته ..

أطلقه بلا حدود ..

أطلقه بفكرة واحدة ..

الانتصار على خصمه الرهيب ، واستعادة فريقه ..

وبأى ثمن ..

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها عقله ، حاملاً كل طاقاته ، كان (محمود) يهتف ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل :

ـ لا .. لا تستسلموا يا رفاق .. قلوبكم ملك لكم ، ولن تطيع سواكم .. قاوموا .. قاوموا ..

وعلى الرغم من خفقات قلوبهم العنيفة ، تشبث (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) بأيدى بعضهم فى قوة ..

وانطلقت أفكارهم وطاقاتهم بلا حدود ..

انطلقت ..

وانطلقت ..

وانطلقت ..

ومن أعمق أعماقهم ، تصاعدت تلك الطاقة الإيجابية القوية ..

تصاعدت ..

وتصاعدت ..

وتصاعدت ..

وانطلقت فى الفراغ الزمنى زمجرة وحشية أخرى ..

زمجرة حملت كل غضب الدنيا ..

وكل ثورة الكون ..

لذلك الخصم الرهيب لم يحتمل ما يحدث ..

لم يحتمل ذلك الهجوم العنيف ، من كل الجبهات ..

موجات عقول رهبان (التبت) ، كانت تهاجم عقله فى عنف ..

والموجات الإيجابية ، التى تطلقها عقول (رمزى) و(سلوى) ، و(نشوى) تتصدّى له بشدة ..

وكل الطاقة ، التى اكتسبها (محمود) ، من بقائه الطويل ، داخل نهر الزمن اللامحدود ، تتصدّى له فى استماتة ..

وحتى عقل (نور) ، انطلق بطاقة مدهشة ، وعبرت المسار نفسه ، مع موجات عقول الرهبان ، عبر حاجزى الزمان والمكان ..

وهناك ، حيث استقر جسده ، وسط الظلام الرهيب ، الذى صنعه عقله ، فى ذلك الوكر ، فى الحى الراقى ، فى قلب (القاهرة) الجديدة ، وعلى الرغم من ذلك الوهم البصرى ، الذى حاول به إرباك (أكرم) ، أكثر أفراد فريق (نور) بدائية وهمجية ، تواجهه موجات غضب قوية ..

كل شىء يحاصره ..

ويقاتله ..

ويقاومه ..

ويعتصره ..

كل القوى فى آن واحد ..

وهذا يعنى أنها أكثر لحظات حياته خطورة ..

لحظة حاسمة ، بين بقائه واندحاره ..

نقطة الضعف ، التى لم يتصورّ أن يواجهها أبدًا ..

طاقات إيجابية بلا حدود ..

طاقات كافية لمواجهة طاقاته ..

ومعادلتها ..

بل والتفوق عليها أيضًا ..

وهذا مستحيل !

لا يمكن أن يسمح بحدوث هذا أبدًا ..

أبدًا ..

لقد قضى عقدين كاملين من الزمان ، يضع خطته هذه ..

عقدان من الزمن ، سد خلالهما كل الفجوات ..

كل الثغرات ..

كل نقاط الضعف ..

ولكن المشكلة الوحيدة ، هى أنه بنى خطته كلها ، باعتبار

أن عقول البشر ، فى المجتمعات الحديثة ، لا تطلق سوى الطاقات السلبية ..

والسلبية وحدها ..

القلق ..

التوتر ..

الحسد ..

الحقد ..

الاضطراب ..

الارتباك ..

الحيرة ..

والخوف ..

عشرات الصور من الطاقات السلبية ، التى يكفى انطلاقها ، ليكتسب عقله قوى هائلة ..

قوة لم يبلغها بشرىّ من قبل ..

ولن يبلغها بشرىّ من بعد ..

وفقًا لتقديره ..

لهذا بدأ خطته ببث الخوف فى القلوب ..

وإطلاق تلك الطاقات السلبية الكامنة ، التى امتصها عقله ، ثم عاد يفرزها فى شكل قوة تتطوّر فى كل لحظة ..

وتتطوّر ..

وتتطوّر ..

« لن تنجح فى خداعى أيها الوغد .. »

أطلق (أكرم) تلك الصرخة ، داخل الوكر المظلم الرهيب ، وهو يصوّب مدفعه الآلى القصير نحو صورة (مشيرة) الوهمية أمامه ، قبل أن يضغط زناد المدفع ، مستطردًا :

ـ لن تخدع مقاتل شوارع قديم مثلى ..

انطلقت رصاصاته فى المكان ، لتدوى بمنتهى العنف ، وهى تخترق صورة (مشيرة) الوهمية ، و ..

وهنا أدرك الخصم الرهيب أن (أكرم) قد انتقل إلى مرحلة خطيرة .. خطيرة جدًا ..

مرحلة تهدّد وجوده نفسه بالفناء ..

صحيح أن جسده الفعلى لم يكن هناك ، حيث ترقد الصورة الوهمية لـ (مشيرة) ..

ولكنه ما زال داخل الحجرة نفسها ..

ما زال يختفى فى بقعة مظلمة أخرى ..

بقعة قد تصيبها رصاصات (أكرم) ولو من باب الخطأ ..

لذا فقد انطلقت فى الحجرة زمجرة وحشية رهيبة ، شعر معها (أكرم) بقوة هائلة تضرب صدره ، وتنتزعه من مكانه ، وتطيح به عبر الحائط ، ليرتطم بالجدار فى قوة ، قبل أن يسقط أرضًا ، ويطير مدفعه الآلى ، إلى الركن البعيد ..

وعلى الرغم من عنف الصدمة ، والآلام التى انتشرت فى كل ذرة من كيانه ، دفع (أكرم) جسده ، لينهض على ركبتيه ، قائلاً فى سخرية عصبية :

ـ إذن فأنت هنا أيها الوغد .. هيا .. تعامل كرجل شريف ، لمرة واحدة فى عمرك ، واظهر أمامى لحظة .. لحظة واحدة ، لو أنك تجرؤ ..

انطلقت زمجرة ثانية ، وطار جسد (أكرم) مرة أخرى ، وارتطم بجدار آخر ، فى عنف أكبر ، وسقط على وجهه ، إلا أنه اعتدل فى سرعة ، وهتف :

ـ مرة واحدة أيها الوغد الحقير ..

لم يدر لحظتها أن خصمه كان يشعر بكل غضب الدنيا ؛

لأن تشتيت قوته وقدراته يمنعه من مهاجمته بالعنف اللازم ..

يمنعه من مهاجمة أى مخلوق ، بما يستلزمه الأمر ..

ولولا هذا ، لانطلق إلى أعمق أعماق عقله ، ومزّقه إربًا بلا رحمة ..

بل ولسحقه سحقًا ..

ولكن الرهبان يهاجمون ..

ورفاق (نور) يصمدون ..

وطاقة (محمود) تقاوم ..

وعقل (نور) يضرب ..

وهذا البدائى يهاجم فى همجية عنيفة ..

ومن المؤكّد أنه لن يصمد أمام كل هذا ..

لابد أن ينسحب من بعض الجبهات ، ليواجه الجبهات الأخرى ، على نحو يضمن له النصر ..

هكذا تقتضى قواعد المنطق ..

وقواعد العقل ..

ولأن وجوده داخل الفراغ الزمنى المتعادل ، كان يستنفد معظم طاقاته ، ويستنزف معظم قواه ، فقد اتخذ قراره بالانسحاب منها على الفور ..

والتركيز على إنقاذ وجوده ..

وسحق (أكرم) ..

بلا رحمة ..

ومرة أخرى ، صرخ (أكرم) :

ـ لحظة واحدة أيها الحقير .

وبقوة لا حدود لها ، وغضب متفجّر هائل ، سحب ذلك الخصم الرهيب كل طاقاته العقلية ، من الفراغ الزمنى المحدود ، ليعود بكل وحشيته إلى العالم المادى المعروف .

إلى الأرض ..

كان المفترض أن يتم هذا على نحو سريع ومباشر ..

ولكن كل شىء امتزج بعضه بالبعض بغتة ..

كل شىء ..

كل الطاقات الإيجابية ..

عقول الرهبان ..

عقل (نور) ..

عقول (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) ..

طاقة (محمود) ..

كل شيء فى آن واحد ..

لذا ، فقد كان انسحابه عنيفًا ، وقويًا ، و ...

ودوت فرقعة قوية ، داخل تلك الحجرة المظلمة ..

فرقعة سطع معها ضوء مبهر ، لجزء من الثانية ، قبل أن يسقط (رمزى) و (سلوى) و (نشوى) ، على مسافة متر واحد من (أكرم) ..

وفى نفس لحظة سقوطهم ، ظهر جسد ذلك الخصم الرهيب هناك ..

عند تلك البقعة المظلمة ، فى ركن الحجرة البعيد ، حيث سقط مدفع (أكرم) الآلى الصغير ..

ظهر لثانية واحدة ، وهو يتطلع إلى (أكرم) بعيونه الثلاث ، بكل غضب ومقت الدنيا ، و ...

ولم يضع (أكرم) هذه الثانية ..

بل لم يضع جزءًا واحدًا منها ..

فما إن برز جسد الخصم الرهيب ، حتى سحب (أكرم) مسدسيه من حزامه ، فى سرعة مدهشة ، وصرخ بكل الغضب فى أعماقه :

ـ لقد فعلتها أيها الوغد .

وقبل حتى أن تكتمل صرخته ، كانت رصاصات مسدسيه تدوى فى الحجرة ..

وتدوى ..

وتدوى ..

وأمام عيون الجميع ، تفجّرت الدماء من تلك الجمجمة المزدوجة المشقوقة ، وجحظت العيون الثلاث عن آخرها ، وكلها لا تصدق أن ينتهى الأمر على هذا النحو ، أو تضع رصاصات تقليدية قديمة ، نهاية لخطة عقلية وحشية ، استغرق إعدادها عقدين كاملين من الزمان ..

وعبر ذلك العقل الجبار ، انطلقت صرخة ..

صرخة لم تتجاوز شفتيه ، ولكن سمعها رهبان التبت ، عبر عقل (نور) .. صرخة أعلنت مشهد النهاية ، قبل أن يتراجع ذلك الرهيب إلى الخلف ، ثم يسقط على ظهره كالحجر ..

ولثوان ، حدق فيه الجميع غير مصدقين ، قبل أن يطلق (أكرم) ضحكة عصبية ، وهو يتطلع إلى مسدسيه ، مغمغمًا فى زهو مرتبك :

ـ رباه ! لقد فعلتها .. فعلتها بهذه البساطة .

ثم أدار عينيه إليهم ، مضيفًا فى حيرة عجيبة :

ـ هل تصدقون هذا ؟!

ولم يجب أحدهم تساؤله ، أو ينبس ببنت شفة وكلهم يحدقون فى ذلك المسخ الصريع أمامهم ، وفى عقولهم جميعًا يدور تساؤل مخيف ..

ترى هل انتهت تلك الأحداث الرهيبة بالفعل ؟!

هل حسمتها رصاصات (أكرم) إلى الأبد بالفعل ؟!

ولكن العجيب أنه ، وعلى الرغم من وجود جثة خصمهم أمامهم ، راودهم جميعًا شعور قوى ، بأن السؤال سيبقى بلا حسم ..

وبلا جواب ..

أبدًا ..

* * *

[تمت بحمد الله]

البقعة المظلمة

- ما مصير (نور) ورفاقه بعد الهجوم المدمر على مبنى المخابرات العلمية ؟!
- هل يواصل الخصم الرهيب سيطرته على الأمور ، وعلى منطقة انعدام الزمن أيضا ؟!
- ترى هل تنحسم الجولة لصالح فريق (نور) ، أم يكون مصيره الضياع فى (البقعة المظلمة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ، من أجل الأرض ..

العدد القادم (الصحوة)

المؤسسة العربية الحديثة

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

146